
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

٢ ـ صورة افريقيا في الصحافة العربية: الرؤية العربية لقضايا التحرر الافريقي في السبعينات

عواطف عبد الرحمن(*)

مقدمـــة

تنال قضية العلاقات العربية ـ الافريقية اهتماماً متزايداً من جانب القوى السياسية والمفكرين والكتّاب العرب والافريقيين ، وقد اتخذ هذا الاهتمام اشكالاً متنوعة تراوحت ما بين عقد الندوات والمؤتمرات واعداد البحوث والدراسات . ورغم المشاركات الايجابية التي قام بها بعض الكتاب والباحثين العرب والافريقيين في هذا المجال ـ فضلاً عن العديد من الملاحظات والاضافات الجوهرية ، وكذلك رغم اهمية المساندة الرسمية التي توليها الحكومات العربية والافريقية لأي مبادرة تتخذ لدعم التقارب بين العرب والافريقيين ـ فإن الرؤية الاستراتيجية لأبعاد العلاقات العربية ـ الافريقية لا زالت تطرح من منطلق براغماتي ، ولا زالت تحاول حصر العلاقات العربية ـ الافريقية في الاطار الحكومي كي تظل اساساً ذا مضمون اقتصادي بحت ، مما يؤدي الى التعاون وفقاً لشروط السوق العالمية ؛ وبذلك تظل الشعوب المتعلقة فقط بالعائد المادي لهذه العلاقات والمنفصلة عن قضايا التحرر والتحول الاجتماعي غير قادرة على تجاوز المرحلة الاولى من الاستقلال الوطني التي ترجع الى نهاية الخمسينات .

وقد لعبت ظروف التبعية الثقافية للغرب ، التي سادت في اغلب البلدان العربية والافريقية ، دوراً حاسماً في سيادة واستمرار المفاهيم الخاطئة ، والاستجابة للمحاولات الاستعمارية لتشويه وعزل الجبهة العربية عن الجبهة الافريقية . ولكن تراكم النضال الوطني على الجبهتين وادراك شمول الظاهرة الاستعمارية ، الذي تجسد في امتداداتها العنصرية في كل من فلسطين والجزء الجنوبي من القارة الافريقية ، مع الانتقال من مرحلة الاستقلال السياسي ادّى الى محاولة انهاء التبعية الاقتصادية والثقافية وخصوصاً في بعض البلدان العربية الاكثر نضجاً .

(*) نظراً لعدم تمكن الباحثة من الحضور ، قدم د. احمد يوسف القرعي البحث نيابة عنها. (المحرر)

ساعدت هذه العوامل على كسر طوق العزلة المصطنعة بين الشعوب العربية والافريقية . وكان مؤتمر باندونغ ١٩٥٥ هو نقطة البدء حيث انطلقت منه حركة التحرر الوطني في العالم الثالث، كي تتجاوز كثيراً من الحواجز الاستعمارية . وبدأت علاقات التقارب الافريقية ١٩٥٨ فاتحة للعديد من المؤتمرات النسائية والشبابية والعمالية .

واذا كانت الستينات قد شهدت ذروة المد الوطني وما صاحبه من تصاعد ملموس في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الشعوب العربية والافريقية ، فإن النصف الاخير من الستينات قد سجل بداية حركة الجزر الوطني بكل نتائجها السلبية على صيغة العلاقات العربية ـ الافريقية التي بلغت اوج ازدهارها في فترة المد التحرري . فقد شهدت هذه المرحلة الهجمة الاستعمارية الشرسة لتصفية النظم الوطنية ذات البرامج الثورية سواء على الجانب العربي او الافريقي .وكان من آثارها ظهور التجمعات الاقليمية ذات الطابع الاقتصادي على الجانب الافريقي بالذات ، وكان ظهورها نذيراً بمرحلة جديدة من التفتت والتفكك بين الدول الافريقية ذاتها وبينها وبين البلدان العربية .

وقد تحددت المعركة الرئيسية لحركة التحرر الوطني ضد التبعية والتخلف بكل ابعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية . وقد كان لكل هذه التطورات آثارها المباشرة وغير المباشرة على خريطة العلاقات العربية ـ الافريقية ، حيث طرأت مجموعة من التغيرات في اولويات ومضامين ومهام العلاقات العربية ـ الافريقية فقد اصبحت مطالبة بالعمل على :

١ ـ مواجهة الاحتكارات الدولية متعددة الجنسيات ، وذلك بانتهاج سياسات اقتصادية تكفل لها انجاز برامج تنموية مستقلة ، تساعدها على اعادة استثمار مواردها طبقاً لمصالح القوى الاجتماعية صاحبة الاغلبية .

٢ ـ مواجهة قضية اعادة بناء الثقافة الوطنية بما يتيح بعث وازدهار الشخصية القومية في كل بلد عربي وافريقي ، ولا يتحقق ذلك الا بالسيطرة على حركة بناء التعليم والثقافة والاعلام ، التي تلخص مجمل طموحات وهموم هذه المجتمعات وتسهم في تحقيق التمايز الحضاري والقومي والاجتماعي للشعوب العربية والافريقية . ولا شك ان هناك سلبيات ومعوقات عديدة لا تزال تعترض المسيرة الموضوعية للعلاقات العربية ـ الافريقية ، وخصوصاً في ظل المحاولات التي تبذلها الدوائر الاستعمارية لتشويه جوهر هذه العلاقات، ومحاولة افراغها من محتواها الحقيقي ، واظهارها في ثوب استغلالي لا تجني منه الشعوب العربية والافريقية الا اشكالاً جديدة من التخلف والتبعية وانعدام الثقة المتبادلة . ولكن لا شك ان ذلك يلقي تبعات جديدة على المثقفين وقادة الفكر العرب والافريقيين ، تتمثل في ضرورة العمل على اقتحام هذا المجال بالدراسة العلمية والجهد المخلص الدؤوب من اجل اكتشاف نقاط الالتقاء المشتركة ، والعمل على تعميقها ورصد المعوقات الفعلية والرواسب ومعالجتها من خلال الفهم الموضوعي الذي ينطلق من الاعتراف بالاختلافات القائمة في داخل كل من العالمين العربي والافريقي ؛ والاعتراف بوجود بعض الرواسب المعادية التي تركتها الدعاية الصهيونية والاستعمارية خلال سنوات عديدة مضت . وهنا تبرز اهمية العمل

الثقافي والاعلامي لازالة الآثار السلبية التي روجها الاعلام الصهيوني لفترة طويلة في افريقيا ، فضلاً عن مسؤولية كل من الاعلام العربي والافريقي في تقديم الواقع الوطني بكل متناقضاته وصراعاته وتعقيداته وخلفياته الحضارية والسياسية الى الشعوب العربية والافريقية .

وتهدف هذه الدراسة الى تحديد ملامح الرؤية العربية والتصور العربي للقارة الافريقية بمشاكلها وقضاياها ومختلف اشكال الصراع فيها ، وذلك من خلال قياس اتجاهات الصحافة العربية ازاء القضايا الافريقية خلال السبعينات ، ومقارنة هذه الاتجاهات بالعلاقات السياسية والاقتصادية بين الوطن العربي والدول الافريقية . ولقد تم اختيار عينة الصحف طبقاً للسياسة التحريرية لكل منها مع مراعاة تمثيلها لمختلف القوى السياسية والاجتماعية في البلدان العربية التي وقع عليها الاختيار . وقد اسفر الاختيار عما يلي :

- الصحافة المصرية تمثلها صحيفتا الاهرام والاخبار .
- الصحافة العراقية وتمثلها صحف الثورة وطريق الشعب والتآخي والعراق .
- الصحافة الكويتية وتمثلها صحف الوطن والسياسة والقبس .
- الصحافة السودانية وتمثلها صحيفتا الايام والصحافة.

كذلك بالنسبة للعينة الزمنية فقد تم اختيار قضية النضال الافريقي في جنوب القارة (زيمبابوي - ناميبيا - جنوب افريقيا) ضد الانظمة العنصرية والاستعمار الاستيطاني . وقضية العلاقات العربية - الافريقية في داخل اطار زمني يشمل مرحلة السبعينات .

وقد اخضعت مواد الدراسة لعمليات التحليل الكمي والكيفي واسفرت عن مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها على النحو التالي :

اولاً : من الناحية الاعلامية

وتتضمن القوالب التحريرية واشكال الاخراج الصحفي التي تناولت الصحف العربية من خلالها القضايا الافريقية خلال فترة السبعينات .

١ - وفيما يتعلق بالقوالب التحريرية فقد شملت :

أ - القوالب الصحفية

لوحظ ان الصحافة العراقية قد انفردت باستخدام القوالب الصحفية التي تحمل وجهات نظر ، مثل التعليقات والمقالات والتقارير والدراسات ، وخصوصاً في معالجتها لقضايا النضال الوطني ضد التفرقة العنصرية والاستعمار الاستيطاني في الجنوب الافريقي .

اما التغطية الخبرية فهي تحتل المكانة الاولى في الصحف المصرية والسودانية والكويتية في

معالجتها للقضايا الافريقية في السبعينات . ومرجع ذلك بالنسبة للصحافة المصرية هو قلة اهتمامها بالقضايا الافريقية في السبعينات عما كان عليه في الستينات ، وهجرة عدد كبير من كوادرها الصحفية المتخصصة في الشؤون الافريقية .

وبالنسبة للصحافة الكويتية فالامر يختلف ، اذ يرجع السبب الرئيسي في اعتمادها على الخبر في تغطية القضايا الافريقية ، الى اعتمادها المطلق على المصادر الاجنبية ، سواء وكالات الانباء او الصحف الغربية مع انعدام وجود سياسة عامة تحدد موقف الصحف الكويتية من القضايا الافريقية . ودليل ذلك انها تعتمد ايضاً على المقالات المترجمة ، فهي تلعب دور المرآة العاكسة لوجهات نظر الصحف ووكالات الانباء الغربية ، ويلاحظ الشيء نفسه بالنسبة للصحافة السودانية .

وتتفوق الصحافة المصرية ـ وخصوصاً جريدة الاهرام ـ في الاستعانة بالصور الصحفية المصحوبة بتعليقات في معالجاتها للقضايا الافريقية ، وتليها مباشرة الصحافة العراقية التي تستعين بالصور الصحفية المنقولة عن وكالات الانباء والصحف الاجنبية . وهنا يبدو الفارق واضحاً بين الصحافتين ، فالصحافة المصرية تحتفظ بأرشيف صور عن افريقيا يمثل جهداً خاصاً لمحرريها ومصوريها الذين تابعوا تطورات النضال الافريقي في الستينات . هذا ، وتحاول الصحافة السودانية ان تبدي درجة لا بأس بها من الاهتمام بالصور ، وذلك عكس الصحافة الكويتية التي يندر استخدامها للصور الخاصة بافريقيا .

ب ـ المصادر الاعلامية

لوحظ ان وكالات الانباء والصحف الغربية تمثل المصدر الرئيسي للمواد الاعلامية التي تنشرها الصحف العربية موضع الدراسة عن القضايا الافريقية . وهناك بعض اوجه الاختلاف تتمثل في اعتماد الصحف العراقية على مصادر اخرى متنوعة مثل وكالات الانباء والصحف التابعة للدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز ، بالاضافة الى النشرات التي تصدرها السفارات وحركات التحرر الوطني الافريقية .

كما لا يمكن اغفال ما تتميز به الصحافة المصرية من وجود بعض الكوادر المتخصصة في الشؤون الافريقية ، وهو ما تفتقر اليه الصحافة العراقية والكويتية ، فضلاً عن وجود حوالى عشرين سفارة افريقية في القاهرة مع المكاتب الرئيسية لحركات التحرر الوطني ، علاوة على وجود الجهة الافريقية التي تتابع انباء النضال الافريقي في مختلف انحاء القارة . ولا شك ان ذلك يمثل مصادر مهمة للاخبار والمتابعة الصحفية .

وفيما يتعلق بالصحافة السودانية فقد لوحظ اعتمادها على المحررين في كتابة المقالات والافتتاحيات والتعليقات ، اما الاخبار فهي لا تذكر المصدر عادة وان كانت تعتمد في اغلب اخبارها على وكالتي الانباء السودانية والشرق الاوسط .

٢ ـ اما اشكال الاخراج الصحفي فقد شملت :

أ ـ موقع المواد الاعلامية

لوحظ ان القضايا الافريقية تحتل بصفة دائمة الصفحات الاخيرة في الصحف العربية باستثناء قضية العلاقات العربية ـ الافريقية فقد احتلت ـ في الاغلب ـ الصفحات الاولى .

ب ـ اساليب التعبير والصياغة

اعتمدت الصحف العربية في البلدان الاربعة على اسلوب التعميم والاستشهاد في معظم المقالات والتعليقات التي نشرتها عن افريقيا خلال السبعينات . اما الاسناد للمصادر الموثوق بها ، فقد كانت وسيلة التعبير الاساسية في التغطية التي عالجت الصحف العربية من خلالها الاحداث الافريقية .

ثانياً : من الناحية الفكرية والسياسية

ويتم قياس الاتجاهات والمواقف الفكرية والسياسية للصحف العربية ازاء القضايا الافريقية في السبعينات في ضوء ثلاثة عوامل رئيسية :

١ ـ حجم الاهتمام الاعلامي

يشمل حجم المواد الاعلامية التي نشرتها الصحف عن القضايا الافريقية . وقد اتضح بمراجعة الجداول التي تضمن القياس الكمي لمعالجات الصحف العربية للقضايا الافريقية ما يلي[١] :

إن الصحافة المصرية تحتل المرتبة الاولى في حجم اهتمامها بقضية العلاقات العربية ـ الافريقية . اما الصحافة السودانية فقد احتلت المرتبة الاولى في الاهتمام بقضية الانظمة العنصرية في الجنوب الافريقي .

٢ ـ نوع الاهتمام الاعلامي

ويتضمن قياس اتجاه كل صحيفة من الصحف التي تناولتها الدراسة والمنطلقات الفكرية التي استندت اليها في معالجتها للقضايا الافريقية التي خضعت للتحليل ، وتشمل قضايا النضال في الجنوب الافريقي ثم قضية التعاون العربي ـ الافريقي .

---

(١) عواطف عبد الرحمن وامل الشاذلي ،افريقيا :**الرأي العام العربي في العلاقات العربية الافريقية** (القاهرة : معهد الدراسات العربية، ١٩٧٨) .

أ ـ العلاقات العربية ـ الافريقية

هناك منطلقان رئيسيان يحددان اتجاهات الصحف العربية من قضية العلاقات العربية ـ الافريقية يمكن تلخيصها على النحو التالي :

(١) **المنطلق الموالي لوجهة النظر الغربية** : ويعتمد في تفسيره للعلاقات العربية ـ الافريقية على اساس المصالح المشتركة سياسياً واقتصادياً بين الوطن العربي والدول الافريقية مما يحتم ضرورة تدعيم هذه المصالح باعتبارها الرصيد الاحتياطي للوطن العربي ، حيث ستقوم بدورها في الوقت المناسب لانقاذ الاقتصاد العالمي من ازمته الراهنة وتتبنى هذا الاتجاه الصحف المصرية في الاساس .

(٢) **منطلق حركة التحرر الوطني في العالم الثالث** : يفسر العلاقات العربية ـ الافريقية في ضوء وحدة الشعوب العربية الافريقية التي يتشكل من نضالها ـ ضد مختلف اشكال القهر والتبعية والتخلف ـ الاطار العام لحركة التحرر الوطني في العالم الثالث . ويركز هؤلاء الذين يتبنون هذه الرؤية على خصوصية العلاقات العربية ـ الافريقية في مواجهتها للامتدادات الامبريالية في افريقيا والوطن العربي ، متمثلة في الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة والانظمة العنصرية في ناميبيا وجنوب افريقيا . وتتبنى هذه الرؤية صحيفة طريق الشعب العراقية والعراق الكردية . وتنفرد الصحافة السودانية بابراز الطبيعة الخاصة للسودان كدولة افريقية عربية ، وتركز على البعد الاقتصادي للعلاقات العربية ـ الافريقية . اما الصحافة الكويتية فهي تهتم بالتركيز على العلاقات الثنائية بين الكويت وبعض الدول الافريقية .

ب ـ قضايا النضال في الجنوب الافريقي

كشفت المؤشرات الوصفية والمقارنات التحليلية بين المعالجات المختلفة التي قدمتها الصحف العربية لقضايا النضال الوطني ضد النظم العنصرية في جنوب افريقيا خلال فترة السبعينات عن الاتجاهات التالية :

(١) هناك شبه اتفاق بين الصحف العربية على تبني خط الكفاح المسلح باعتباره الاسلوب الاوحد القادر على تحقيق الاستقلال والتحرر لشعوب الجزء الجنوبي من القارة الافريقية ؛ ما عدا صحيفة الاخبار القاهرية والسياسة والقبس الكويتيتين ؛ التي اقتصرت معالجاتها لقضية النضال الوطني في الجنوب الافريقي على التغطية الاخبارية وبعض التعليقات المنقولة عن الصحافة الغربية . فالملاحظ ان هذه الصحف تبدي تأييدها لحقوق الاغلبية السوداء في جنوب افريقيا ، وضرورةانتقال السلطة السياسية اليها ولكن بالوسائل السلمية وذلك املاً في التوصل الى تشكيل حكومة افريقية معتدلة ، وبذلك يتيسر تطويق ومحاصرة الحركة الثورية ، مما يسهل اجهاضها والقضاء عليها . ومن هنا يبرز الاختلاف الجذري بين هذين الفريقين : الفريق الاول الذي يساند الاتجاه التحرري من خلال الكفاح المسلح ، اما الفريق الثاني فهو الذي يتبنى المشروع الامريكي الذي يهدف الى اقامة انظمة معتدلة موالية للغرب مع اقناع الحكام العنصريين بالتخلي عن السياسة

العنصرية ، وذلك حرصاً على الاحتفاظ بجوهر السيطرة الغربية على ثروات ومقدرات هذه الشعوب .

(٢) تتفوق الصحف العراقية ، وخصوصاً التآخي والعراق وطريق الشعب ، في اهتمامها بمعالجة قضايا النضال الافريقي في زيمبابوي وناميبيا وجنوب افريقيا . وقد تجسد هذا الاهتمام في معالجتها شبه اليومية لتطورات الصراع مع المتابعة الدقيقة لاتجاهات هذا الصراع والتيارات المختلفة داخل حركات التحرر الوطني في الجنوب الافريقي ؛ ولم تقتصر على المعالجات العامة بل ساهمت من خلال التحقيقات والتعليقات والدراسات في تنوير العراقيين بكل تفاصيل النضال الوطني ضد الانظمة العنصرية في جنوب افريقيا . وقد قامت الاهرام القاهرية بدور مماثل للصحف العراقية وخصوصاً في كشف حقيقة الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة الامريكية ومشاريع التسوية التي قدمتها تحت اسماء مختلفة ؛ املاً في اعاقة الكفاح المسلح وخوفاً من نتائج استمراره في ناميبيا وزيمبابوي وجنوب افريقيا .

(٣) نالت قضية ناميبيا اهمية ملحوظة لدى بعض الصحف العراقية (صحيفتي العراق وطريق الشعب) رغم انها لم تعالج بمعزل عن باقي فصول المأساة العنصرية في جنوب افريقيا .

(٤) اهتمت الاهرام القاهرية والتآخي العراقية بكشف حقيقة التحالف المقدس بين المعسكر الغربي والنظام العنصري في جنوب افريقيا ، والذي يتجسد في المواقف المتناقضة التي تتبناها الدول الغربية اذ تشارك في اصدار البيانات المنمقة لاستنكار السياسة العنصرية في جنوب افريقيا ؛ وتقوم في الوقت نفسه بتزويد الحكومة العنصرية بكل انواع المساعدات الفعّالة .

(٥) اهتمت جريدة التآخي العراقية بتحليل اوجه التشابه بين الدولتين العنصريتين : اسرائيل وجنوب افريقيا في دراسة مطولة استغرقت تسع حلقات ، كذلك استعرضت موقف واتجاهات الدول الافريقية من اسرائيل بعد حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ ، واعتبرت القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة الافريقي في كمبالا ١٩٧٥ ، والذي يطالب بطرد اسرائيل من الامم المتحدة ، « محاولة لانزال اقصى العقوبات بهذا الكيان العدواني الذي يدعم الانظمة العنصرية في جنوب القارة الافريقية ويشكل في الوقت نفسه قاعدة عدوان واسع وصارخ ضد البلدان العربية »(٢) .

(٦) رغم ان الصحف السودانية احتلت المكانة الاولى في التغطية الخبرية لقضية النضال الافريقي ضد النظم العنصرية الا انه يلاحظ وجود موقف محايد كلياً ، او على الاصح عدم وجود موقف من جانب الصحافة السودانية تجاه مسائل جوهرية ، مثل مساعي الحل الامريكي . ويمكن تفسير التفوق الاعلامي الذي احرزته الصحافة السودانية مع غياب الموقف المحدد باعتبارات مهنية تتعلق بتركيز وكالات الانباء الغربية على انباء الجنوب الافريقي ، مما وفر للصحف السودانية مادة اعلامية غزيرة حرصت على الاستفادة منها .

٣ ـ العلاقة بين الاهتمام الاعلامي وحجم العلاقات العربيـة ـ الافريقيـة فـي المجـالات الاخـــرى

عندما نحاول القاء نظرة شاملة على خريطة العلاقـات العربيـة ـ الافريقيـة في المجالات المختلفة (السياسية والاقتصادية والثقافية . . . الخ) نلاحظ ان مصر تحظى بالمكانة الاولى سواء من حيث حجم العلاقات الدبلوماسية (٢٧ سفارة وقنصلية) ، او العلاقات الاقتصادية وتشمل الاتفاقيات والمشروعات المشتركة والغرف والعلاقات التجارية ، او العلاقات الثقافية والفنية التي تشمل الاتفاقيات الثقافية والبعثات والمنح الدراسية الممنوحة للدول الافريقية والخبراء ومراكز نشر الثقافة العربية الاسلامية والوفود الافريقية والمصرية التي تبادلت الزيارات . كذلك يرجع تاريخ هذه العلاقات الى بداية الستينات اذ تعتبر مصر اقدم البلدان العربية تعاوناً وتفاعلاً مع الدول الافريقية ، ولا شك ان ذلك يرجع الى عوامل تاريخية وجغرافية بجانب العوامل السياسية . والسؤال المطروح هو : الى اي مدى ترجمت العلاقات المصرية ـ الافريقية الى اهتمام اعلامي وخصوصاً في السبعينات . . . ؟

عند قراءة النتائج العامة لحجم الاهتمام الاعلامي الذي عكسته الصحافة المصرية تجـاه القضايا الافريقية في السبعينات سيتضح لنا ان الصحافة المصرية تحتل المكـانة الاولى في حجم الاهتمام بقضية العلاقات العربية ـ الافريقية ، وتنطلق في رؤ يتها لهذه العلاقات من المنظور الموالي لوجهة النظر الغربية ، هذا بينما يتراجع اهتمام الصحف المصرية بقضية النضال الوطني في الجنوب الافريقي سواء من حيث حجم الاهتمام فهي تأتي بعد الصحافة السودانية والعراقية . او من حيث المواقف والاتجاهات الفكرية ـ فمن الواضح ان تراث العلاقات المصرية ـ الافريقية الذي شيد منذ الستينات ـ والذي عززته مواقف القيادة آنئذٍ ، وتمثل في تقديم جميع اشكال المساندة المادية والمعنوية لحركات التحرر الوطني الافريقية . هذا التراث الايجابي لم تنجح القيادة السياسية المصرية في السبعينات في نسفه او تغييره بمواقفها المواليـة للغرب ومصـالحه في القـارة الافريقية ، والتي تناقضت بالضرورة مع مصالح الشعوب الافريقية وخصوصاً حركات التحرر الوطني؛ ولكن انعكست مواقف القيادة السياسية المصرية في السبعينات على اتجاهات الصحف المصرية ازاء القضايا الافريقية ، وخصوصاً قضـايا التحـرر الوطني اذ كـادت مواقف الصحف المصرية تتطابق مع مـواقف السلطة السياسيـة ، وان كانت قـد انفصلت عن تراث العـلاقات المصرية ـ الافريقية في المجـالات الدبلومـاسية والاقتصـادية والثقـافية . ومن هنـا كان التعبير الاعلامي لا يعكس الخريطة الواقعية للعلاقات المصرية ـ الافريقية .

فيما يخص العلاقات العراقية ـ الافريقية فهي تمثل حجماً متواضعاً في المجال الدبلوماسي (٦ سفارات) وفي المشروعات الاقتصادية والعلاقات التجارية ، وان كانت تمثل زيادة واضحة في عدد الوفود العراقية والافريقية التي تبادلت الزيارة في السبعينات ، وكذلك في حجم العلاقات الانسانية والتي تمثلت في المساعدات المادية والعينية التي قدمتها العراق الى الـدول الافريقيـة في النكبات

والكوارث الطبيعية ، كما تمثلت في المعونات التي قدمتها العراق للجمعيات والمدارس الاسلامية في الدول الافريقية .

ولكن يلاحظ ان هناك اهتماماً اعلامياً مكثفاً عكسته الصحف العراقية ازاء القضايا الافريقية ، خصوصاً من ناحية المواقف والاتجاهات والجهد البناء ، الذي قامت به لتنوير الرأي العام العراقي بحقيقة العلاقات العربية ـ الافريقية كجزء من وحدة حركة التحرر الوطني في العالم الثالث ، وكذلك مساندتها لقضايا النضال في الجنوب الافريقي من خلال كشف المشاريع الاستعمارية المعادية لمصالح شعوب المنطقة . ويمكن تفسير هذا الاهتمام الاعلامي بأنه كان مواكباً لتصاعد ونمو العلاقات السياسية والاقتصادية والانسانية بين العراق والدول الافريقية .

يبدو بوضوح ضآلة العلاقات الكويتية ـ الافريقية على المستوى الدبلوماسي (سفارتان) وكذلك العلاقات التجارية والاتفاقيات الاقتصادية ، ولكن تبرز المشروعات الاقتصادية المشتركة ، وكذلك الدور الذي يقوم به الصندوق الكويتي في تمويل العديد من المشروعات الافريقية ومنح القروض . وتسجل المنح الدراسية التي تخصصها الكويت للدول الافريقية رقماً مرتفعاً ؛ كذلك عدد الوفود الكويتية والافريقية التي تبادلت الزيارات خلال السبعينات .

اما العلاقات الانسانية فقد تمثلت في تقديم تبرعات كويتية كبيرة للدول الافريقية التي واجهت بعض النكبات والكوارث الطبيعية،كما توجد لجنة المعونات الاسلامية وهي لجنة وزارية وتقدم معونات كبيرة للدول الافريقية .

عندما تقرأ الترجمة الاعلامية لمجمل العلاقات الكويتية ـ الافريقية نلاحظ تناقضاً بيناً يتمثل في مجموعة مؤشرات سلبية من جانب الصحافة الكويتية تجاه القضايا الافريقية ابرزها تبني وجهة النظر الغربية في قضية العلاقات العربية ـ الافريقية ، والترويج للموقف الامريكي في قضايا النضال الوطني ضد الانظمة العنصرية في الجنوب الافريقي . ولا شك ان هذا الموقف من جانب الصحافة الكويتية يؤكد مدى تبعيتها لوكالات الانباء الغربية ، وغياب السياسة الاعلامية الوطنية التي تلخص وتجسد حقيقة العلاقات الكويتية ـ الافريقية في المجالات الاخرى . وهنا يبدو واضحاً الانفصال بين موقع افريقيا على الخريطة الاعلامية الكويتية وموقعها على الخريطة السياسية والاقتصادية .

المراجـــع

كتــب

ابو سن ، علي . **العرب وتحديات الحوار مع افريقيا** . القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٨ .

الاصفهاني ، نبية . **التضامن العربي الافريقي** . القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٧ .

دايفيدسون ، بازل . **صحوة افريقيا** . ترجمة جمال محمد احمد . بيروت : ١٩٦٦ .

دياب ، فؤاد . **الرأي العام وطرق قياسه** . القاهرة : ١٩٦٢ .

زجلر ، جان . **مناهضة الثورة في افريقيا** . ترجمة مارسيل عيسى. دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٦٧ .

عودة ، عبد الملك . **سنوات الحسم في افريقيا ، ١٩٦٠ - ١٩٦٩** . ط ٢ . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ .

وودس ، جاك . **الاستعمار الجديد في آسيا وافريقيا** . بيروت : ١٩٧٤ .

ـــ . **جذور الثورة الافريقية** . ترجمة احمد فؤاد بلبع . مراجعة عبد الملك عودة . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧١ .

دوريـــات

الاخبار (القاهرة) : ١٩٧٧ - ١٩٨١ .

الاهرام (القاهرة) : ١٩٧٣ - ١٩٧٥ .

الايام (الخرطوم) : ١٩٦٩ - ١٩٧٦ .

التآخي (بغداد) : ١٩٧٢ - ١٩٧٥ .

الثورة (بغداد) : ١٩٦٨ - ١٩٧٦ .

السياسة (الكويت) : ١٩٧٦ - ١٩٨٠ .

شعراوي ، حلمي . « قراءة جديدة لوقائع العلاقات بين حركتي التحرر الوطني العربية والافريقيـة . » **المستقبل العربي** : السنة ٢ ، العدد ١٠ ، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٩ .

الصحافة (الخرطوم) : ١٩٦٩ - ١٩٧٦ .

العراق (بغـداد) : ١٩٧٦ .

القبس (الكويت) : ١٩٧٦ - ١٩٧٧ .

الوطن (الكويت) : ١٩٧٦ - ١٩٧٧ .

اوراق

رشتـى ، جيهان . « تحليل المضمون في الدراسات الاعلامية . » (كلية الاعلام ، ١٩٧٦ / ١٩٧٧) . (مذكرات لطلبة كلية الاعلام)

حوارات ولقاءات

حوارات عدة مطولة مع مسؤولي الشؤون الافريقية في وزارات الخارجية العراقية والكويتية والسودانيـة وجامعة الدول العربية .

لقاءات عدة مع رؤساء تحرير الصحف العراقية والكويتية .

تعقيب ١

غسان العطية

بعد تحديد الارضية السياسية والاقتصادية المشتركة بين العرب وافريقيا ، يمكننا الحديث عن البعد الاعلامي في التعاون العربي ـ الافريقي . . . فالاعلام ، تعاوناً كان ام نشاطاً منفرداً لا بد من ان ينطلق من ارضية سياسية واقتصادية تحدد اهدافه .

وقد اوضحت دراسة د. المصمودي بعض تلك الاهداف المشتركة بين العرب وافريقيا، وهي تحديداً ، مقاومة مظاهر الاستعمار المتجددة ومواجهة مظاهر التخلف . . . والامر الاخير الذي اكد عليه الكاتب ـ والذي اعتبره وكأنه المدخل للتعاون الاعلامي ـ هو مواجهة الهيمنة الاعلامية الغربية في افريقيا والوطن العربي . . . حيث ان ٨٠ بالمائة مما تنشره وسائل اعلامنا منقول عن الوكالات الغربية الكبرى . واذا ما افلحنا في تشخيص احد العوامل الاعلامية المشتركة يبقى السؤال ، كيف نواجه هذا الخلل؟ هنا كنت اود ان تأتي دراسة د. المصمودي باقتراحات محددة وعملية ممكن تبنيهاكمشاريععمل عربية او عربية ـ افريقية مشتركة .

استشهد الباحث ببعض الارقام في توضيح حجم الامكانيات المتاحة في وسائل الاتصال في افريقيا والبلاد العربية والتي هي من دون شك محدودة وقليلة ، ولكن ما اريد توضيحه اننا بحاجة الى معرفة ، وبالتالي تقويم الجهد الاعلامي العربي والافريقي القائم حالياً والموجه لكلا الطرفين ، على سبيل المثال كم ساعة اذاعية تبث عربياً وبلغات افريقية الى شعوب افريقيا السوداء؟ ما حجم التبادل التلفزيوني القائم حالياً؟ وما هي طبيعة تلك المواد ومدى الجدوى منها؟ وهنا قد نقترح ان يقوم معهد بحوث المستمعين بدراسة وتحليل المضمون لتلك البرامج . ومرة اخرى، ما هو نشاط وكالات الانباء العربية في افريقيا؟ وغيرها من الاسئلة .

وفي الحديث عن معوقات التعاون الاعلامي بين العرب وافريقيا ، ذكر الكاتب عامل التخلف الاقتصادي والامية ،حيث تبلغ نسبة الامية ٨٠ بالمائة في غالبية اقطار افريقيا . . . اضافة الى الافتقار الى المعدات والاجهزة ومختلف وسائل الاتصال من صحافة وتلفزة وغيرهما من

الوسائل الضرورية . وهنا اود الاشارة الى عامل سياسي وهو غياب المناخ الديمقراطي في معظم الاقطار الافريقية والعربية ، وبالتالي خضوع وسائل الاعلام لهيمنة الحزب الواحد او الدكتاتور الواحد ، مما ادى ، من دون شك ، الى تضييق دائرة الاهتمام الاعلامي المتبادل الى موضوعات ضيقة قد لا تعني او تهم جماهير الطرف الثاني !!

هذا ، وان مخاطبة افريقيا بلغة اعلامية واحدة امر قد يمكن ممارسته في موضوعات محدودة جداً ، وفي نطاق عموميات شاملة ، كمحاربة الاستعمار . . . وانهاء التخلف ، ولكن عند تقريب الصورةنجد انفسنا امام اكثر من افريقيا واحدة . . . لغوياً وثقافياً وجهوياً وسياسياً واقتصادياً ، الامر الذي يتطلب معرفة بتلك الخصوصيات للاقطار الافريقية المختلفة والعمل على مخاطبتها بعيداً عن النظرة الاحادية . . . مثال ذلك : ان لغة واسلوب وحجم الحديث عن الاسلام في بلد افريقي مسلم كمالي تختلف عن بلد منقسم دينياً ، او ان اغلبية سكانه من المسلمين كنيجيريا .

إن بلورة موقف عربي اعلامي مشترك تجاه افريقيا هو بحد ذاته امر صعب التحقيق نتيجة التناقضات العربية ، ناهيك عن تنسيق عربي - افريقي . . . فالتنسيق غائب عربياً ، وفاقد الشيء لا يعطيه . وقد تكون قضية تشاد والموقف العربي المتناقض منها احد النماذج على صعوبة اتخاذ موقف عربي مشترك . واعتقد ان الباحث قد اصاب عندما وجّه انظارنا الى الدور الذي يمكن ان تلعبه او توفره لنا المنظمات الدولية ، كاليونسكو ، في مجال التعرف على الواقع الاعلامي والاتصالي العربي - الافريقي ، وسبل تطويره ، وتنمية التعاون المشترك .

لقد خطت كل من الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية ، خطوات لا بأس بها من اجل التشاور والتعاون سياسياً . إن وجود الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية يوفر لنا اداة صالحة ، ان أحسن استغلالها ، لترسيخ التعاون الاعلامي بين الطرفين . فالجامعة العربية معنية رسمياً وتنظيمياً بالعمل الاعلامي العربي ، كما ان لها مكاتب اعلامية في بعض العواصم الافريقية . . . وقد تكون مساهمة الجامعة العربية لحد الآن محدودة في مجال العمل الاعلامي في افريقيا لاسباب قد تتجاوز ارادة الامانة العامة لجامعة الدول العربية - واذكر في هذا الصدد انه على الرغم من ان هناك قراراً بإعادة فتح مكتب الجامعة في لاغوس الا ان السلطات النيجيرية لم تمد يد المساعدة في هذا الصدد ، غير ان هذا لا يعني استحالة تطور نشاط الجامعة العربية في افريقيا ، وان مجرد وجود مكاتب اعلامية (السنغال ، كينيا ، اثيوبيا) لا يمكن ان يسد الحاجة المطلوبة اعلامياً . وخير ما يمكن ان يشرع به الطرفان - الجامعة والمنظمة - هو تنظيم لقاءات فيما بينهما بغرض التنسيق وتبادل الخبرات والبرامج الاعلامية المشتركة .

تعقيب ٢

عبد الملك عودة

يجمع هذان البحثان انهما يتكلمان عن قطاع دراسي واحد وهو الاعلام في اطار العلاقات العربية ـ الافريقية .

اولاً : تقدم د. عواطف عبد الرحمن بحثاً عن صورة افريقيا في الصحافة المصرية والرؤ ية العربية لقضايا التحرر الافريقي في السبعينات . وعلى الرغم من تقديرنا للكفاءة العلمية للباحثة ، الا اننا نسجل على بحثها عدداً من الملاحظات :

١ ـ ينقسم البحث الى قسمين اولهما المقدمة السياسية العامة التي تعبر عن موقف وآراء الباحثة ، وهذه المقدمة العامة لا تقوم صلة مباشرة بينها وبين نتائج الدراسة ، وهذا لأنها ليست قراءة او تقديماً او تفسيراً لنتائج الدراسة او لبيئة الدراسة ، كما انها ليست مناقشة عامة او خاصة لمعنى ومضمون العلاقة المتبادلة بين السياسة والاعلام ، وهي القضية محل الدراسة .

٢ ـ نتائج الدراسة هي جزء من دراسة سابقة نشرتها الباحثة مع زميلة لها كما هو واضح من الهامش رقم (١) من البحث المقدم ، وقد سبق نشر هذه الدراسة لحساب معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة .

ومع التسليم بأن الدراسة في الاصل جهد اكاديمي ، الا ان المنشور منها هو النتائج . ولا نستطيع ان نعرف من هذا الملخص ما هي المقدمات التي ادت الى هذه النتائج ، ولا نستطيع تقدير الادوات والاساليب والوسائل المستخدمة في البحث للتوصل الى هذه النتائج ، ولا نعرف ما هي اسباب ومبررات اختيار هذه العينات من الصحف ومن هذه الاقطار العربية بالذات .

ثانياً : ويقدم الورقة الثانية د. مصطفى المصمودي عن البعد الاعلامي في العلاقات العربية ـ الافريقية المعاصرة . ونسجل فيما يلي الملاحظات عليها :

١ ـ يرى الباحث ان الدين الاسلامي عامل توحيد بين سكان الشرق الاوسط وقارة افريقيا .

وهذا تقدير مهم يشكر الباحث عليه ، خاصة انه يعرف ان الاعلام في الوطن العربي والقارة الافريقية ينتشر فيه تيار مدني علماني لا يرى هذا الرأي . وان الباحث لم يؤكد ما يذهب اليه بمؤشرات او بدلائل وشواهد يستمدها من قنوات ووسائل الاعلام العربية والافريقية .

٢ ـ اشار الى وسائل الاعلام الافريقية من مكتوبة ومنطوقة ومرئية مؤكداً ان ٨٠ بالمائة مما تنشره منقول عن وكالات الانباء الاجنبية .

ومن حقنا ان نسأل هل هذا هو وضع الصحافة الافريقية المنشورة باللغات الانكليزية والفرنسية والبرتغالية وبلغات افريقية متنوعة ، ام ايضاً هذا هو وضع الصحافة المنشورة باللغة العربية في منطقة شمال افريقيا ، وكذلك الصحافة المنشورة باللغة الفرنسية في عدد من الدول الافريقية الناطقة باللغة العربية .

٣ ـ ان ما اشار اليه من آفاق واساليب التعاون في العمل الاعلامي ليس جديداً ، فهناك عشرات ومئات من الوثائق والبيانات والدراسات التي اصدرتها المنظمات والاتحادات والندوات العالمية والاقليمية والوطنية حول قضايا الاعلام في العالم الثالث ، وهناك عمل ونشاط اتحادات الاعلاميين والصحافيين وهيئات التدريس في كليات ومعاهد الاعلام . . . الخ . وكان من الافضل ان يشير الباحث الى نتائج هذا النشاط وهذه الاجتماعات وماذا تم فيها ، وما هو المصير والواقع الراهن بعد ان تعددت الاجتماعات والقرارات؟

٤ ـ يشير الباحث مقتطفاً من حديث الامين العام لاتحاد الصحافيين الافريقيين ، الى ان بعض الصحافيين، افارقة وعرباً ، قد تركوا انفسهم ينقادون الى الفخ الذي نصبته لهم وسائل الاعلام الامبريالية .

ونحن ان كنا نسلّم بدور ونشاط المصالح الاجنبية والامبريالية في فترة الاستعمار الجديد ومحاولات اختراق الكيانات الوطنية والتجارب العربية والافريقية بعد اعلان الاستقلال . . . الا انه من حقنا ان نسأل عن دور الحكومات والبلدان العربية والافريقية في التمهيد للتبعية وفي الخضوع لمناطق النفوذ والارتباط بالقوى الاجنبية والاستعمارية ، وان هذه الحكومات تضغط وتضهطد الاعلاميين عامة اذا لم يسيروا في ركاب سياساتها ويؤيدوا اتجاهاتها ومواقفها .

ثالثاً : ان الموضوع الاساسي واسع ويشمل عديداً من القضايا الخاصة بكل جانب عربي ام افريقي ، كما يشمل عديداً من القضايا المشتركة . ونشير الى بعضها فيما يلي :

١ ـ حقوق الانسان : ومنها حقه في ان يتعلم وان يبدي الرأي وان يحتفظ بعقيدته . وهي تشمل حريات وحقوق الاعلام والصحافة والنشر . . . الخ . ان هذه الحقوق مفقودة تماماً في جميع البلدان العربية والافريقية . . . فكيف نتكلم مع هذا ؟

٢ ـ الاعلام في النهاية هو ترجمة دقيقة للسياسة او لخيارات السياسة المطروحة في المجتمع . والخيارات السياسية تعبر عن قوى وطبقات وآراء منوعة في مراحل وفترات سياسية واوضاع داخلية وخارجية متغيرة . فإذا كانت الحكومات تأخذ بأساليب وبمعاني الاستبداد والتسلط

الشاملين ، وليس عندها مواقف المبادأة ، ولا تعبر عن مصالح شعبية . . فيكون الموقف هو ان الاعلام - خوفاً ورهبة - لا يقدم الا رأي الحاكم الفرد او القلة . وتتغير المواقف والسياسات كلما تغير الحاكم او تغيرت رغباته .

٣ - المعلومات والبيانات الحقيقية لا تنشر ولا تتداول اهداف واستراتيجيات ومراحل وتكتيكات التعاون العربي - الافريقي ، وليس مسموحاً بمناقشات موضوعية او حرة او انتقادية حول هذه الاحوال وحول هذه الاهداف والوسائل . وقد سبق في هذه الندوة مناقشة موضوع البيانات والمعلومات ، علماً بأننا نعيش في فترة ثورة الاتصال والبيانات والمعلومات .

يكون السؤال كيف نعالج وكيف نقوّم وكيف نقبل ان نضع المسؤولية الكاملة على عاتق الاعلاميين؟ او كيف ننتظر منهم ومن وسائل الاعلام ، موقفاً ايجابياً لمصلحة التعاون العربي - الافريقي ؟

٤ - تدفق الانباء وقنوات الاعلام في العالم المعاصر هي احتكار لعدد قليل من وكالات الانباء والشركات متعددة الجنسيات في العالم الغني الصناعي في دول الشمال ، بينما دول الجنوب جميعها فقيرة محرومة متخلفة في هذا الميدان .

ان ثورة المعلومات والاتصال تجعلنا في وضع المتلقي باستمرار من جانب الشمال المحتكر . وان الهجوم والتشويه المتعمد على الثقافة ، والذات الوطنية ، وعلى التجارب الاستقلالية في دول العالم الثالث ، هو الطابع المستمر وهو الموقف الدائم تجاه بلادنا وتجاه الاعلام والثقافة . . . الخ ، وهذه هي المطالب التي يعيش عليها او يحتاجها المواطن في بلادنا في دول آسيا وافريقيا بجوار احتياجاته ومطالبه المادية . ومن هنا فإن التعاون العربي - الافريقي لا يلقى اهتماماً ، واحياناً كثيرة يقدم في صورة مشوهة تثير الاحقاد والحزازات ، واحياناً اخرى تعمق السلبيات والتباعد بين اطراف هذا التعاون . وتجربة السنوات العشر الماضية دليل على ما نقول .

٥ - انه على الرغم من محاولات وجهود التعاون الاعلامي في العالم الثالث ، سواء أكان هذا في اطار دول عدم الانحياز ، ام في اطار الجامعة العربية ، ام في اطار منظمة المؤتمر الاسلامي ، ام في اطار التعاون العربي - الافريقي ، ام في اطار التضامن الأفروآسيوي . . . الخ ، نقول انه على الرغم من كل هذه المحاولات والجهود والندوات والقرارات الا ان الحصيلة والنتائج قليلة وغير مرضية وغير ذات اثر فعّال .

ولذلك فمن حقنا ان نسأل: لماذا؟ وكيف الطريق الى التغيير؟ ومتى نستطيع ان نصل الى تحقيق النتائج المستهدفة في الوثائق والقرارات التي وقع عليها الرؤساء والملوك العرب والافارقة في مؤتمر القاهرة عام ١٩٧٧ ، تقنيناً وصياغة وتأسيساً للتعاون العربي - الافريقي ؟

هذه هي عينة من الاسئلة والقضايا التي ارى ان تنشغل بها دراسات وبحوث محور الاعلام في هذه الندوة . او فيما يعقد من ندوات قادمة حول هذا الموضوع .

تعقيب ٣

محمد بن عيسى

اود ان استأذنكم في ان اقتصر بالتعقيب على دراسة د. مصطفى المصمودي ، وان اعتذر لكم عن عدم تعرضي بالتعقيب على دراسة د. عواطف عبد الرحمن .

والحقيقة هي انني شخصياً كنت اتطلع الى ان يكون بحث د. المصمودي اكثر دقة وابعد عمقاً واوسع تحليلاً في المفهوم والبعد الاعلامي في العلاقات العربية ـ الافريقية . وتطلعي جاء نتيجة لما نعرفه عن الباحث من اطلاع واسع في مجال الاعلام العربي والافريقي ، وعن الجهود التي بذلها ، ولا يزال ، في دعم حركة تحرير الاعلام والاتصالات في العالم الثالث عموماً ، وفي افريقيا خصوصاً . غير انه فيما ارى ، اتبع في تحرير ورقته اسلوب التعميم في طرح عدد مهم من القضايا الحيوية التي تتعلق باشكالية الثقافة والاعلام والاتصال . وربما فعل ذلك اعتباراً لعامل الزمن وشمولية موضوع الندوة . هذه ملاحظة اولية اقولها كرد فعل تلقائي لقراءتي للبحث .

وفي اعتقادي ان احدى الوظائف الرئيسية التي يجب ان يقوم عليها التعاون العربي ـ الافريقي في المجال الاعلامي هي وظيفة استكشاف المقومات الذاتية والحضارية ، وتصحيح الصورة المميزة للانسان في افريقيا وللانسان في المشرق العربي . وعنصر الاستكشاف هذا اعتبره عنصراً ضرورياً ومتلازماً لقدرة هذا الانسان على مقاومة ، ليس فقط مظاهر الاستعمار المتجددة ، بل وعلى المساهمة في احداث المناعة الحضارية / الثقافية للتفاعل مع المؤثرات الحضارية الثقافية الخارجية ولمواجهة التخلف عن وعي بالبديل الذي يختاره للتطور والتنمية .

والباحث لا يبرر ابداً اسباب الضعف العربي ـ الافريقي المفرط في مجال الاعلام . فمما لا شك فيه ان للقرار السياسي اثره البالغ في هذا التخلف . ومما لا شك فيه ايضاً ان اغلبية الاقطار العربية وعدداً لا بأس به من الاقطار الافريقية يتوفر على وسائل في قطاع الاعلام والاتصال متقدمة ، وعلى اطر (كوادر) متدربة ، وبعضها على مستوى عالٍ من التجربة الفنية والابداعية . غير ان هذه الوسائل وهذه الموارد البشرية المتدربة لا توظف في انتاج برامج اعلامية

هادفة ، وبالتالي نجد ان القرار السياسي يصبح العامل الفعّال المباشر في تكريس اعتمادنا على مصادر الاعلام الخارجية ، وفي اللامصداقية والاستلاب اللذين يتسم بهما انتاجنا وسلوكنا الاعلامي وفي المعاناة التي يعيشها كثير من اعلاميينا ومثقفينا ومبدعينا .

يتحدث الباحث عن « آفاق التعاون العربي - الافريقي في مجال الاعلام والاتصال » ، ويبدأ بكلمات قالها السيد الشاذلي القليبي ، الامين العام لجامعة الدول العربية ، عن مسؤولية الصحافيين العرب والافارقة « في الذود عن القيم الانسانية . . . وفي تطوير العقليات (بين العرب والافارقة) نحو المزيد من الثقة المتبادلة ومن الايمان بالمصير المشترك » . ويقول الباحث ان كلمات السيد القليبي هذه « تلخص على احسن وجه برنامج العمل المشترك الذي ينبغي تنفيذه لمد الجسور اللازمة من اجل تعاون عربي افريقي شامل ، بما فيه التعاون في مجال الاعلام والاتصال » .

ولكن بعد ذلك يبدو لي ان الباحث يكل لمنظمة « اليونسكو » مهمة تنفيذ هذا العمل الجبار لتطوير العلاقات بين العرب والافارقة بغرض مضاعفة الثقة المتبادلة وتثبيت ايماننا بالمصير المشترك! فهو يقول بعد ذلك « وهذا التعاون ينبغي ان يستمد من مبادىء النظام الاعلامي الدولي الجديد . . . . وذلك بفضل تدفق متوازن للاعلام بين العرب والافارقة وتطور مختلف الانظمة الاعلامية وتدعيمها في كل المستويات » .

ومع الاحترام الذي قد نكنّه اجمالاً لمبادىء « النظام الاعلامي الدولي الجديد » وللنوايا الحسنة والقدرات والكفاءات التي تتوفر لدى عدد من العاملين في منظمة « اليونسكو » فإنني لا استطيع اخفاء تحفظي تجاه هذا الاستوجاب الذي يقره الباحث . وسبب تحفظي واضح . ذلك ان نظام الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة تئن تحت بيروقراطية اثبتت منذ سنين عجزها الصريح عن مواجهة مشاكل التخلف التي يعاني منها العالم الثالث . بل انه لم يعد خفياً على احد ان الحلول التي يقترحها هذا النظام عادة - بل ربما دائماً - ما تصبح متجاوزة وغير نافذة المفعول حتى توكل الى آلية دوليةو / او الى آلية اقليمية فيما بين الحكومات في اي منطقة من بلاد العالم الثالث .

ولكن هذا في حد ذاته ليس هو سبب تحفظي الوحيد . ففي رأيي ان « الحلول الناجعة » التي اثارها الباحث«لبعث حضارتنا المشتركة بكل قيمها » و« سد النقص الفادح في تغطية اخبار شعوبنا » و« لنضع حداً للاحتكارات الاعلامية العالمية » ، في رأيي ان هذه الحلول ، وهذه المقاصد النبيلة ، المفترض ان تترتب عنها ، لا يمكنها ان تتحقق هكذا بسهولة . . . لمجرد تبنينا لنظام اعلامي دولي جديد . تماماً كما لم تتغير الظروف الاقتصادية لانسان العالم الثالث بالسهولة التي توقعها رواد الانظمة الدولية الجديدة الذين صادقوا على « النظام الاقتصادي الدولي الجديد » .

وإجمالاً فإن الباحث ، في الاجزاء المتعلقة « بمستوى العمل الصحافي وانتاج البرامج » والامكانيات البشرية والتكوين وغيرها ، يخلص الى آراء جازمة تقوم في واقع الامر على مسلمات

غير متماسكة تتسم بعموميات لا تستند الى معلومات معقولة . ثم ان البحث في تفاصيله يوحي بأن حل اشكالية الاعلام والاتصال والتعاون العربي ـ الافريقي في هذا المجال يكمن في البرامج والمشاريع المشتركة في التدريب والاستثمارات وتطوير آليات الاتصال والتوزيع والبث . وهذا في رأيي تبسيط زائد في الطرح والعلاج .

وبمعنى آخر ، فإنه لا بد من توفر ارادة سياسية فردية مشتركة . وهذه الارادة السياسية ـ كما اثبتت التجارب في المجالات الاخرى ـ لا تفرضها توصيات الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ولا حتى الانظمة الدولية الجديدة ، وإنما يفرضها وعي واضعي القرارات السياسية في افريقيا والوطن العربي باهمية الاعلام والاتصال كقوة ضاربة وليس آلية للترفيه والدعاية العابرة . ومن ثم كان الاحتكار الاعلامي العالمي مثلاً ، مرتكزاً بالاساس على الشرطية التي يفرضها نظام القيم عندنا جميعاً ، لدى النخبة ولدى الجماهير ، عن وعي او غير وعي .

وهذه الشرطية هي وليدة ارث ضخم من الرؤى والمسوغات التي تطبع برامج تعليمنا وانماط التنمية التي نختارها ومعادلة الصراع الداخلي والخارجي فيما نحن عليه وفيما نريد ان نصير . ولكن هل نعرف من نحن ؟

ولربما كان في هذا الاستفسار عمن نحن ، وما نريد ، ان نصير جوهر معادلة ما يسمى بالتعاون العربي ـ الافريقي ، او موضوع الندوة عن « العرب وافريقيا » . ولعله قيل الكثير من جانب عدد من الاخوة المشاركين في هذه الندوة عن اشكالية الانفصام الذي تعاني منه الشخصية الافرو ـ عربية ، وعن قضية التحرير الشامل الفعلي للانسان الافرو ـ عربي ، وعن الهوية المميزة لهذا الانسان ، وعن تحديد مفهوم من هو « العربي » ومن هو « الافريقي » واين يكمن « ولاء » سكان الاقطار العربية في افريقيا او الاقطار الافريقية الاعضاء في الجامعة العربية . . . . . الى غير ذلك من المتاهات الجدلية التي سوف تزداد حدّة بين من سيأتي بعدنا من الاجيال القادمة .

واذا ما اعترفنا ـ كما اكد ذلك عدد من الاخوة هنا ـ ان « التعاون » والتعامل فيما بين الحكومات العربية « الغنية » والحكومات الافريقية « المحتاجة » انما يقومان على المصلحة الآنية ، واذا ما نحن قدرنا بصدق وبموضوعية ان اسلوب « الحسنة » ، والقروض ، والهبات المالية ، وما الى ذلك من « الاستثمارات » ، والمؤسسات المصرفية العربية ـ الافريقية ، والاتفاقيات الفنية والاقتصادية و« الثقافية » ، وشتى الوان التعامل ومحاولات « التقارب » الافريقي ـ العربي التي تصل احياناً درجة الارتشاء والسذاجة في اعتبار « مواقف » بعض الحكومات القائمة على المقابل مظهراً من مظاهر « التعاون » ، واذا سلمنا كما ثبت من مداخلات الاخوة المشاركين في الندوة ان هذه الاساليب جميعها لم تحقق « التعاون » المنشود ، فلأنه يبدو جلياً ان عنصر الثقافة بمفهومها الشامل ، من حيث الفكر والابداع بما في ذلك الاعلام والاتصال ، ربما يبقى البعد السليم الذي من شأنه ان يمهد ـ على المدى الطويل ـ لتعاون فعّال ومثمر بين الشعوب وبالتالي بين الحكومات في افريقيا وفي المشرق العربي .

ومما لا شك فيه ان البعد الانساني في التعامل العربي ـ الافريقي هو العنصر الرئيسي

المفقـود في معادلـة « التعاون » الافـرو ـ عربي . وهـذا البعد يمكن تنـاوله من منـظور مستقبلي للعلاقات بين الافريقيين والعرب المشرقيين . ولعل هذا المنظور المستقبلي لآفاق التعامل والتعاون ناقص هو الآخر في الطريقة التي تناولت بها هذه الندوة عموماً قضية التعاون بين افريقيا والمشرق العربي .

وكـان هذا البعـد الانساني ، والمنـظور المستقبلي ، همـا ما حـدا بجماعـة من المفكـرين والمبدعين العرب والافارقة الى المغامرة في محاولة متواضعة في مدينة « اصيلة » المغربية لاحداث « المنتدى الثقافي العـربي الافريقي » ونستهـدف ، من خلال المشـاريع التي اقـرتها اجتمـاعات « منتدى اصيلة » الثلاثة منذ سنة ١٩٨٠ ، مد الجسور العربية ـ الافريقية من خلال النشاطات غير الحكومية في مجالات الاتصال والفكر والعلوم والابـداع ، وتوجيـه استثمار قـدراتنا المـادية والبشرية ، ودعم العمل المشترك في قطاع النشر والعمارة والانتاج السينمائي والتشكيل وتنظيم الاتصال بين الكتّاب والتشكيليين والمعماريين والشعراء وغيرهم من الافارقة والعرب .

ملاحظة اخيرة ، هي اننا ـ كعرب ـ كثيراً ما ننساق مع هاجس التأثير العربي في افريقيا ، باستعلاء احياناً ، ومع «عقـدة» ما قدمه العرب والاسلام لافريقيا ومع شعورنا بمرارة « الجحود » الذي يتقبل به الافارقة « المعونات العربية » والعطاء العربي. والواقع هو ان الافارقة اثـروا الى حد كبير العطاء الحضاري العربي ـ الاسلامي . والانسان الافريقي غني بموارد حضارية تتمثل في الصرح الحضاري الافريقي قبل وصول الاسلام الى افريقيا منذ الحضارات الليبيو ـ بربـرية القديمة. ولعل ما تعكسه الصياغات الابداعية في الموسيقى والنحت والزخرفة والعمارة والوفاق القائم بين الانسان والطبيعة في افريقيا ما اعطى نفساً خلاقاً قوياً للصـرح الحضاري العـربي ـ الاسلامي في الماضي واليوم وغداً .

وبدون استعداد العرب تقبل هذا العطاء الحضاري الافريقي والتفاعل معه ، فإن التعاون الافرو ـ عربي سيبقى عرضة للمساومات والمناقصات المالية والمواقف التعصبية المسبقة . وبدون هذا التعاون فإن الظهر العربي سيبقى عـرضة لاخـطار رهيبة لا احـد يستطيـع تصور ابعـادها وتأثيرها على الوجود الحضاري العربي .

تعقيب ٤

مجدي حماد

انني في الواقع لن اقدم تعقيباً على اي من الدراستين ، وانما سأقدم لمحة سريعة عن جانب مهم اعتقد انه يكمل موضوع الندوة بشكل عام ، والبعد الاعلامي منها بشكل خاص وهو ما يتصل بالتصورات الافريقية للشخصية العربية .

فلا شك ان مدرك « التصور » يعتبر من المدركات المهمة في رسم اية سياسة خارجية او محاولة مد جسور تعاون او مواجهة صراع . وبالتالي فإن محاولة بناء اية استراتيجية عربية في افريقيا ، ينبغي ان تبدأ بالاجابة عن هذا السؤال . ما هي « صورة » الشخصية العربية لدى القيادات والشعوب الافريقية؟ لأنه من المنطقي ان مكونات التصور الايجابية تسهل مد جسور التعاون والالتقاء وتعمل على تدعيمها واستمراريتها ، بينما المكونات السلبية للتصورات تبقي هذا التعاون والالتقاء على مستوى الحكومات فقط وتجعله اسير اي تغيرات تطرأ على هذه الحكومات التي لا تستقر على حال . والاهم من ذلك انها تقدم المادة الخام التي يسهل لاية دعاية مضادة ان تقدمها بغير ادعاءات اضافية . ومن هنا اهمية معالجة هذه « التصورات » لأن المكونات السلبية كبيرة الحجم وسريعة المفعول ، فضلاً عن ان القوى المضادة للمصلحة العربية ـ الافريقية تلتقط هذه المكونات وتعمل على تضخيمها والاستفادة منها لضرب التعاون العربي ـ الافريقي .

يمكن تركيب صورة مجملة للشخصية العربية من اجزاء متعددة للتصورات الافريقية المرتبطة بهذه الشخصية ، سواء من تصورات تسود على المستوى الكلي للشخصية العربية او من تصورات اخرى ترتبط بالمستوى الجزئي او بقضايا فرعية ـ من ناحية ، وسواء من تصورات تصدر عن الصفوة الافريقية بقطاعاتها الحاكمة او من تصورات شائعة لدى القواعد الشعبية الافريقية لظروف معينة ـ من ناحية اخرى .

ويمكن القول ان التركيبة العامة للتصورات الافريقية المرتبطة بالشخصية العربية هي

نتاج عوامل متعددة يعود بعضها الى خبرات التاريخ سواء الشق القديم منه او المرحلة المعاصرة ، كما يعود بعضها الآخر الى طبيعة العلاقات السياسية بين البلدان العربية والدول الافريقية فضلاً عن السياسات الدولية والمواقف التي يتخذها كل طرف في المنظمات الدولية المختلفة . وهناك اخيراً العلاقات الاقتصادية العربية ـ الافريقية .

١ ـ التصورات النابعة من مفهوم « العرب » لدى الافارقة

يمكن القول ان الصورة القديمة عن العرب تجار العاج والرقيق كادت ان تختفي ، ولكن برزت محلها صورة العرب الذين تمثلهم وتعبر عنهم بالقول وبالفعل ثورة **٢٣** يوليو **١٩٥٢** في مصر ، وما قدمته من معونات اقتصادية وعسكرية وسياسية ومعنوية ، وما لها من آثار في حياة هؤلاء البشر جميعاً . فأينما يذهب المرء في ربوع افريقيا يجد الشعوب هناك تعرف مصر وثورتها وقيادة هذه الثورة .

ولكن تجاور هذه الصورة المشرقة ، صورة اخرى تثير كثيراً من القلق ، وهي صورة بعض الاقليات العربية . ان الرأي العام الافريقي ينظر اليهم في كراهية احياناً ، وفي شك احياناً اخرى ، خاصة وانها تمثل قطاعاً مرتبطاً بالصفوة الافريقية الحاكمة والمستأثرة بالشق الاعظم من الثروة القومية ومزايا الحكم ، فضلاً عما يؤدي اليه النشاط المضاد للمصلحة العربية من تضخيم للجوانب السلبية لسلوك هذه الاقليات العربية ولدورها في القارة .

وبجوار هذا برزت خلال الاعوام الاخيرة صورة تكاد تغطي ما عداها ، وهي صورة العربي مالك النفط ، والعوائد النفطية الخرافية ، واجراءات ايداع هذه الاموال في بنوك اوروبا وامريكا ، واستثمارها فقط في الدول الغنية . ونذكر هنا بطبيعة الحال ما تنشره الصحف والمجلات الاجنبية عن الاسراف في الانفاق وحياة الترف التي يعيشها العرب في اوروبا الغربية والولايات المتحدة . ولكي نوضح اثر ذلك على العقلية الافريقية ، فإننا نستشهد بنموذجين احدهما يرتبط بالقيادات الافريقية الحاكمة وثانيهما يصدر عن رجل افريقي عادي .

الاول : هو مجرد فقرة قصيرة ولكنها معبرة من كلمة الرئيس السابق عيدي امين امام مؤتمر القمة العربي ـ الافريقي الاول بالقاهرة حيث يقول : « ان اوغندا قد رفضت اتخاذ اجراءات انتقامية عندما تعرضت اراضيها لاعتداءات مختلفة . وذلك رغبة منها في تأمين سلام ووحدة القارة الافريقية . وان اوغندا لن تكون قط عبداً للامبريالية والصهيونية . . . ان الدخل الذي تحققه البلدان المنتجة للبترول والمودعة في البنوك الغربية ، انما تستخدمه الدول الامبريالية في انتاج الاسلحة التي يتم شحنها الى اسرائيل ونظم الحكم العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا والتي تقوم باضطهاد الشعوب الشقيقة . . . » .

اما **الثاني** : فيتمثل في سؤال وجهه احد طلاب جامعة دار السلام لاحد الخبراء الذين اوفدتهم جامعة الدول العربية في جولة اعلامية بعدد من الدول الافريقية لاستطلاع ردود الفعل للتعاون العربي ـ الافريقي . يقول السؤال : « هل العرب متأكدون من ان اموالهم المودعة في

بنوك اوروبا واميركا لا تستثمر في الشركات الاحتكارية والاستغلالية العاملة في مناجم النحاس والماس ومزارع المطاط في جنوب افريقيا وروديسيا؟ » .

وفضلاً عما تقدم فإن المعلومات الشائعة عن جامعة الدول العربية في اغلبها معلومات سطحية . اذ ما زالت العروبة مرتبطة بالاسلام . ومن هنا توجه الى الدول والجامعة العربية بصفة دائمة تهمة تقديم المعونات للدول الافريقية الاسلامية اولاً . وبالتالي فهناك تساؤل مهم يواجه المتحدث العربي في شرق افريقيا يدور حول طلب تحديد شروط العضوية او تعريف هوية العروبة التي على اساسها تنضم الدول الى عضوية جامعة الدول العربية . وهذا مرتبط في اذهانهم بانضمام الصومال بصفة خاصة للجامعة حيث انه لا يتحدث اللغة العربية رسمياً . فضلاً عن ان اشاعة انضمام اوغندا التي كانت متداولة في بعض الدول .

والنموذج العملي الذي يوضح ذلك هو ما اثير في كلمات وخطب بعض الدول الافريقية في المؤتمر الوزاري الافريقي ـ العربي الأول الذي عقد في دكار (ابريل / نيسان ١٩٧٦) ، من موضوعات خاصة بالعروبة . ولدور العرب واهدافهم في افريقيا وعلاقة العروبة والاسلام بالتعاون العربي ـ الافريقي . لقد سبق استغلال هذه الافكار في الستينات من هذا القرن خاصة في فترة الدعم العربي القوي لحركات التحرر الافريقية ضد الاستعمار الاوروبي القديم وضد الاستعمار الجديد . وقالت الدوائر الاستعمارية والصهيونية ان العرب يمثلون استعماراً جديداً . وان هدفهم الحقيقي هو نشر الاسلام ومحاربة الاديان الاخرى في افريقيا . وبالتالي استغل هذا الاتجاه لتغذية تخوف بعض العناصر المسيحية الافريقية ، وخلق صعوبات جديدة ذات طابع ديني يمكنها ان تعرقل بل قد تشل التعاون العربي ـ الافريقي لمصلحة التعاون الافريقي ـ الاوروبي الذي قد يبدو اكثر فائدة وارضاء للمسيحيين في افريقيا .

٢ ـ التصورات النابعة من العلاقات السياسية الدولية

هناك موضوعات خاصة تثار في دول معينة حيث يرتبط الامر بمصلحتها القومية . وهذه الموضوعات تؤثر بشكل جدي على العلاقات الافريقية ـ العربية . كما انها تساهم في تغذية تصورات افريقية معينة قد تكون من طبيعة سلبية بالنسبة للعرب . وخاصة ان هناك نوعاً آخر من القضايا لا تثور في دول بعينها ، وانما تشكل قضية قارية تهم الشعوب والدول الافريقية بصفة عامة .

وعلى سبيل المثال ، هناك قضايا من النوع الاول الذي يثور في دول بعينها مثل قضية اريتريا . وتأييد عدد من البلدان العربية متزايد في هذه الآونة لثوارها ولرغبتهم في الانفصال عن اثيوبيا (في اثيوبيا وتنزانيا) . كما تثور في كينيا قضية القواعد العسكرية الاجنبية في الصومال نظراً للصراع الكيني ـ الصومالي التاريخي حول الحدود ، كذلك كان من حق غانا ان تتساءل وان تتعجب حول موقف الاقطار العربية ضد مرشح غانا في انتخابات رئيس بنك التنمية الافريقي . كذلك يثور في الدول الافريقية التي تعلن ايديولوجية يسارية ، ذلك الموقف الحاد الذي تتبناه بعض الاقطار العربية ضد هذا الاتجاه وضد التعاون معه .

وهناك كذلك طائفة اخرى من الموضوعات التي ترتبط بالقارة ككل والتي تثور في جميع دولها على وجه العموم والتي يمكن تركيزها في ثلاثة موضوعات اساسية :

أ ـ وهو الاهم ، يدور حول العلاقات العربية ـ الامريكية المتزايدة منذ حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ وما يرتبط بها بصفة خاصة بعد كامب ديفيد من اتجاهات الحل السياسي لقضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي وتأثير ذلك على العلاقات الافريقية ـ الاسرائيلية .

ب ـ يدور حول عدم التزام العرب باحترام التضامن العربي ـ الافريقي ، والامثلة هنا عديدة ، منها ما تردد عن قيام قطر عربي ببيع السلاح الى حكومة جنوب افريقيا . ومنها عدم جدية مقاطعة شركات النفط التي تتعامل مع جنوب افريقيا او الدول التي تعيد تصدير النفط العربي اليها بل واشاعات تتردد عن بيع النفط العربي اليها . ومنها تجارة فرنسا الواسعة في السلاح مع جنوب افريقيا في الوقت الذي تتظاهر فيه بالصداقة مع العرب ، وضرورة التزام العرب بقرارات مؤتمر كولومبو لعدم الانحياز (تموز / يوليو ١٩٧٦) الخاصة بحظر النفط عن فرنسا ما لم توقف تسليحها لجنوب افريقيا . وهناك اخيراً العلاقات الحيوية المتضخمة والمتصاعدة بين النظام العنصري في جنوب افريقيا،واسرائيل ترتبط في المفهوم الافريقي بالمساعدات الهائلة التي يحصل عليها النظامان من الدول الكبرى ، خاصة الولايات المتحدة الامريكية ، التي اصبحت صديقة للعرب حالياً وبتجميع هذه الابعاد معاً وصل البعض الى حد القول بوجود تناقض عربي ـ افريقي في مجال حركة التحرر الوطني .

ج ـ ينبع من الاتجاه شبه العام الى اعتبار الحوار العربي ـ الافريقي مكافأة تدفعها الاقطار العربية للدول الافريقية ، لأنها قطعت علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل .

ليس ادل على ذلك من الفقرة الاولى في بيان مؤتمر القمة العربي السادس بالجزائر (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣) تتضمن ان الاقطار العربية تعرب بحرارة عن تقديرها « لموقف الدول الافريقية الشقيقة لقطعها علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل التي باتت معزولة اكثر فأكثر عن العالم » . وكنتيجة طبيعية لهذا فإن تهديد بعض المسؤولين الافريقيين باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، يشكل ، في رأي البعض ، المحرك السري الذي قد يدفع الاقطار العربية الى الابقاء على المساعدات المالية ، فإذا كانت تلك هي الخلفية الفكرية لأحد طرفي الحوار فتلك عقبة من الخطأ التقليل من اهميتها .

ولقد كان هذا المعنى واضحاً في كلمة الرئيس سنغور في الخرطوم(١٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٥) بقوله ان كل من يحاول ان يجعل من التعاون العربي ـ الافريقي مسألة اعتراف بالجميل من لدن البلدان العربية ازاء افريقيا ، يقترف خطأين في آن واحد « الخطأ الاول ـ هو ان موقفاً مثل هذا يشكل اهانة لافريقيا ولشرفها ، والخطأ الثاني ـ هو ان موقفاً مثل هذا ، من شأنه ان يفكك اواصر التآزر والتضامن الذي يجمع الاجيال الافريقية والعربية الحالية والمقبلة فيكون منها كتلتين متضادتين . . . » .

٣ ـ التصورات النابعة من العلاقات الاقتصادية

ويمكن من زاوية العلاقات الاقتصادية وتبلور برامج ومؤسسات عربية لتدعيم عمليات التنمية الافريقية فضلاً عن مساعدة دولها على التقليل من آثار ارتفاع اسعار النفط في اعقاب حرب تشرين الاول / اكتوبر ، الاشارة الى العناصر الآتية الشائعة في الاوساط الافريقية :

أ ـ ان السلوك العربي في التعامل المالي والاقتصادي والمعونات الفنية بطيء ، ومتردد ، بينما هو عند طلب التأييد السياسي الافريقي سريع وعاطفي متحرك وقوي . وهو ما يعطي الشعوب الافريقية انطباعاً بأن الهدف العربي هو التأييد السياسي ، فإذا ما تحقق، نسي العرب افريقيا واهملوا قضيتها . ويساعد على ذلك، في رأيهم ، انهم يرون العرب يتحدثون كثيراً ويفعلون قليلاً .

ب ـ ان القروض العربية وسيلة رديئة للتعامل مع افريقيا ، تبعث على المخاوف والشك خاصة انها اول اسلوب للتعامل العربي الجماعي . انها مبالغ ضئيلة اكبرها قيمة ١٤ مليون دولار امريكي للدولة الواحدة ، وتستحق دفع الفوائد ، ويجب سدادها مهما طال الزمن . انها ليست استثمارات طويلة الاجل . وليست موجهة نحو رفع مستويات المعيشة ونحو تنمية الثروة القومية . وكثيراً ما يثور السؤال التالي: هل العرب يستهدفون نفوذاً سياسياً بهذه القروض؟ وهل لها علاقة بمطالب بعض العرب بشأن طرد اسرائيل من الامم المتحدة؟

ج ـ ان الاجهزة العربية المالية بصفة خاصة لم تعمل حتى الآن بالشكل الجدي المطلوب . فضلاً عن تواضع امكاناتها المالية والفنية خاصة اذا وضع في الاعتبار ان الدول الافريقية عددها ٤٩ دولة واوضاعها في غاية السوء ، بينما لم يرصد لها العرب سوى مبالغ زهيدة . وهنا يقارن الافريقيون هذه المبالغ بقيمة القرض المقدم لفرنسا مثلاً . وعند المقارنة يصابون بالذهول .

وفي هذا المجال ايضاً يعجب الافارقة من السلوك العربي ، اذ كيف نرتكب خطأ صرف القسط الاول من القرض المقرر الى دولة « ملاوي » ، وهي دولة تقف ضد العرب وعلى علاقات صداقة وتعاون مع روديسيا وجنوب افريقيا؟

د ـ ان المطالب الافريقية تتركز حول الاستثمارات العربية ، بينما هم يقرأون ويسمعون عن الاموال العربية المتدفقة في شرايين اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية . وهم يطلبون ان تعدل هذه التدفقات من مسارها لتتجه الى الجنوب . انهم يطلبون استثمارات طويلة الاجل خاصة في شكل مشروعات مشتركة تؤدي الى انجاح خطط التنمية وتوسيع قاعدة الثروة الوطنية . ويستفيد منها العرب في صورة ارباح وعوائد هذه المشروعات المشتركة . ويقولون ان التضخم وتخفيض قيمة العملات الاجنبية ، انعكاساً للازمات الاقتصادية الدورية في الدول الرأسمالية ، اصاب هذه الارصدة العربية بخسائر فادحة . فلماذا لا يستثمرون اموالهم في افريقيا . . . اليست هي القارة التي تضم الاصدقاء ؟

هـ ـ ان التعاون العربي ـ الافريقي ليست له آثار واقعية في حياة الشعوب الافريقية حتى الآن . لقد كانت اسرائيل ـ كما يقولون ـ تقوم بمشروعات خدمة البيئة او بمشروعات ذات العائد السريع او مشروعات مشتركة مع اقسام من النخبة الافريقية وكان هذا يعود عليها بالدعاية والاعلام المقبولين لدى المواطن العادي . فلما قطعت العلاقات مع اسرائيل غادر الخبراء الاسرائيليون هذه المشروعات وتوقفت . ويتساءل الافريقيون من سيحل محلهم . او ما هو الدور العربي في هذه الحالة؟

و ـ ان اسعار النفط هي الشغل الشاغل بصفة خاصة للنخبة الافريقية التي تعيش حياة المدنية والحضارة الحديثة . ومن هنا التساؤل بين صفوفها : لماذا لا يبيع العرب نفطهم للدول الافريقية باسعار مخفضة عن السعر العالمي ، ويوفرون قروضهم واموالهم؟ لقد ارتفع سعر النفط الى ٢٠٠ بالمائة و٣٠٠ بالمائة ولم يشعر المواطن الافريقي العادي بأي اثر لتقديم القروض العربية . لقد تسلمتها الدول والحكومات ووضعتها في حساباتها الخاصة . وظل ثمن النفط في ارتفاع مستمر .

ز ـ ان الاقطار العربية المنتجة للنفط بصفة خاصة والاقطار العربية بصفة عامة تصر على فكرة التعاون الثنائي ولا تقدم دعماً حقيقياً لمؤسسات وبرامج التعاون على المستوى الجماعي . وهو يوضح دائماً ان هذه المساعدات ليست في حقيقتها الا اداة لخدمة اهداف سياسية محددة .

ولقد كان اوضح الامثلة العملية على هذا الموقف العربي ما شهده مؤتمر لومي (توغو) في كانون الثاني / يناير ١٩٧٧ ، والذي ضم لجنة الاثني عشر العربية ولجنة الاثني عشر الافريقية ، للاعداد لمؤتمر وزراء الخارجية ومؤتمر القمة العربي ـ الافريقي الاول . فقد كان هناك رأي افريقي بأن يكون التعاون من خلال المؤسسات الاقتصادية المختصة . في حين كان هناك رأي عربي بأن يكون التعاون ثنائياً بين الاقطار الغنية والدول الافريقية . على ان يأخذ طابعاً افريقياً عربياً . وقد انعكس هذا الخلاف على مؤتمر وزراء الخارجية المشترك حيث تعذر في اجتماعاته تخصيص اكثر من خمسة ملايين دولار امريكي لحركات التحرير الافريقية . ولكن عندما انعقد مؤتمر القمة العربي ـ الافريقي الاول ارتفع المبلغ فجأة الى ١٤ مليوناً من الدولارات . وانهالت المساعدات وبشكل ثنائي ، الا في حالات قليلة ، الى الدول الافريقية .

وفي حقيقة الامر تستتر خلف هذا الاتجاه نقطة اخرى في غاية الاهمية تربط بين العلاقات الاقتصادية والعلاقات السياسية العربية ـ الافريقية . وتؤدي الى تصورات افريقية معينة ليست تماماً في صالح اطراد التعاون والتفاهم بين المجموعتين من الدول ، او على الاقل بين عدد من الاقطار العربية وعدد من الدول الافريقية . ويقصد بذلك علاقة المساعدات الاقتصادية بالاتجاهات الايديولوجية السائدة في القارة ، خاصة في المرحلة الاخيرة التي ارتبطت بتصاعد الوجود الاجنبي في القارة .

فلقد كانت مطالب المجموعة الافريقية في اول مؤتمر قمة مشترك محددة وواضحة وتتركز اساساً على ضرورة الاتفـاق على بـرامج تعـاون اقتصادي ومـالي ترتبط بـاستثمارات عـربية في افريقيا على اساس طويل المدى بحيث يكون هنـاك تحول ملحـوظ في اتجاهـات اعادة تـوظيف البترودولارات العربية من الشمال الى الجنوب .

ولقد افصحت المشاورات والاتصـالات التمهيديـة التي جرت في كـواليس مؤتمر القمـة عن جواب واضح ومحدد لمجموعة الاقطار العربية النفطية . تمثـل في الرد التـالي : من يضمن لنا ان هذه القروض والاستثمارات والمساعدات المالية والاقتصادية ستذهب في طريق الانفـاق الصحيح؟ وبالتالي ، من يضمن لنا ان هذه المساعدات والقروض لن تستخدم في تعزيز وجود انظمة الحكم التي تعلن الايديولوجية اليسارية في القـارة الافريقيـة؟ وليس ذلك فقط، بـل في انفاق هذه المساعدات والقروض على عمليات قلب انظمة الحكم الافريقية ، غير الموالية لهـذه الايديولوجية ، او للاتحاد السوفياتي على سبيل التخصيص؟

المناقشات

١ ـ يوسف الحسن

ـ موضوع اعتماد صحافتنا واعلامنا العربي على وكالات الانباء الغربية ربما يكون اقل بكثير من اعتماد صحافة واعلام افريقيا على وكالات الانباء الغربية ، هي ككل قضايا العالم الثالث ، قضية تدقيق المعلومات ، التدقيق غير المتوازن وذي الاتجاه الواحد .

ـ الوجود الرسمي العربي في افريقيا ، وجود ضعيف باهت ، اما الشعبي فهو نادر ، وليس صحيحاً ما قيل من ان الوجود ضخم وهو بحدود ١١٢ سفارة . . . اذ كان يجب ان يكون في حده الادنى ليس باقل من ٥٠٠ ـ ٨٠٠ سفارة عربية بما يعنيه ايضاً وجود مثل هذا الرقم او اقل من مراكز اعلامية تابعة (٢٢ دولة عربية × ٥ دولة افريقية او على الاقل ١٣ دولة عربية آسيوية × ٤٢ دولة افريقية) .

ـ ليس غريباً ان تكون صورة افريقيا في اعلامنا العربي صورة مهتزة وغير حقيقية ، فهذا تحصيل حاصل ، اذ ان دورنا العربي نفسه في افريقيا يبدو في اعلامنا العربي باهتاً ، وغير دقيق ، وجاهلاً في بعض الاحيان ، سبب ذلك ليس هو العجز الرسمي وحده عن اعطاء البيانات ، بل ايضاً يعود الى ان اعلامنا العربي ما زال يحبو ، ولا يبحث الا عن السهل . وتجربة بيروت والغزو معروفة . اذ كان الحضور اعلاماً غربياً والغائب هو الاعلام العربي . انني استغرب مثلاً لماذا اعلامنا ، وحتى بعض باحثينا ، لا يعرفون ان مجمل التعهدات العربية لافريقيا غير العربية خلال ١٩٧٣ ـ ١٩٨١ يصل الى سبعة مليارات دولار .

ـ الحديث عن طلب طرح مشروعات وافكار للتعاون الاعلامي ، احيله الى عشرات الاوراق والمشروعات الموجودة والمتوفرة لدى اجهزة المنظمة الافريقية ، والجامعة والمؤتمرات الدولية الثقافية المحايدة .

في اي حال ، لا بد من ايجاد جسور متينة ومستمرة بين المؤسسات الاعلامية الافريقية والمؤسسات المشابهة في الوطن العربي .

٢ ـ محجوب عمر

يثير الحديث عن الاعلام مواضيع وتساؤلات في عصر هو عصر حرب الحضارات . ولعل الموضوع كله يستحق اكثر مما قلنا او سنقول . لدي بعض الملاحظات والتساؤلات :

ـ نحن نجهل بلادنا العربية والافريقية ولا بد من ان نبدأ بانفسنا .

ـ ان « الاعلام » المؤسسي (اذاعة ـ تليفزيون ـ صحافة ـ سينما . . . الخ) ليس مقياساً لدرجة المعرفة ، وليس سبيلاً الى نشرها ايضاً .

ـ ان الخطط التي ستعتمد على « التطور التقني » اساساً في الاعلام لا بد ان تواجه خطط « الآخرين » الاقوى والاقدر لغزو القارة ثقافياً ، وليس من الواقعية توقع الفوز في هذه المعركة .

ـ ان التفاعل البشري هو السبيل ، ولكن كيف؟ مرة اخرى يأتي دور العرب المقيمين في البلاد الافريقية غير العربية . يجب ترقية معارفهم عن البلاد التي يعيشون او سيعيشون فيها ، ثم يأتي دور المبعوثين للعمل، والقادمين الى المعاهد العربية للدراسة ، (ولا اعفي المبعوثين الدبلوماسيين العرب انفسهم) ، ولكن الاهم من ذلك انه من الواجب اعتبار مهمة الاعلام العربي في الدول الافريقية غير العربية مهمة ريادية .

ـ هذه المهمة **الريادية** يجب ان تتجنب التورط في ترديد المواقف الرسمية السياسية او الاعمال الاستخباراتية ، كذلك يجب ان تبدأ من « المحور الافقي » اي من التعريف بالبلاد بعضها ببعض وثقافاتها. اننا نجهل حتى جغرافية من نتحدث عنهم .

ـ ليس العمل الريادي المطلوب تبشيراً بأي حال . . انما هو تعريف ، مجرد تعريف . ومن الافضل كثيراً ان تقوم به مؤسسات او تنظيمات غير رسمية ، ويضمن لها النجاح ان تقدم للناس في مواقعهم خدمات يحتاجونها ، ويشاركوهم حياتهم ويحترموا تقاليدهم . اذكّر بما قاله بن غوريون ذات مرة لمجموعة من الخبراء الاسرائيليين كانت مسافرة الى افريقيا قال لهم « علّموهم دون تعالٍ ، واخدموهم دون منّ » .

ـ لا بد من توجيه الدعوات للهيئات الافريقية غير العربية على اختلافها (نقابات ـ اتحادات ـ شخصيات عامة ـ بل حتى زعماء عشائر) لزيارة البلاد العربية وتسهيل مهمتهم لعرض معلومات عن بلادهم امام المستمعين العرب عامة وتسجيل ذلك وتكرار اذاعته وبثه .

ـ الملاحظة الاخيرة مستخلصة من مجموع ما قيل . . ان اكثر وسائل الاعلام تأثيراً هو **الفعل** الذي يفرض نفسه على وسائل الاعلام كلها وبالاخص العالمية الخاضعة لاصحابها . ان معرفتنا ببعضنا كانت اكبر بكثير ايام حروب التحرير ، فالاخبار المحرفة التي كانت تنشرها

وسائل الاعلام الاستعمارية كانت تترك في اذهان متلقيها بعض المعلومات الاساسية عن البلد الذي يخوض نضاله ، فهل يا ترى انتهى عصر « الفعل » الهجومي ؟ وهل نقبل بذلك؟

٣ ـ موسى زيد الكيلاني

الاعلام هو صورة تعكس ما نـراه . الاعلام هـو مرآة تبـين ما يبـدو امامهـا ، فتحسين الصورة العربية لا يتم بما ذكره د. المصمودي عن انشاء محطات تلفزيونيـة او اذاعات مـوجهة فحسب ، بل يجب تحسين الصورة العربية اولاً في الوطن العـربي ، قبل ان نـطالب غيرنـا ان يرونا بصورة حسنة ، وقد ثبت فشل نظريات تعريف الاعلام بغير ذلك سواء المنهج الانتقائي او المنهج التوجيهي الغوبلزي . وعلينا في مجال الاعلام الاستفـادة من تجارب الآخـرين في هذا المجال .

وبالنسبة لما ذكره د. غسان العطية عن الصورة العربية المشوهـة في الذهن الافـريقي او الصورة الافريقية المشوهة في الذهن العربي ، فلا يشكل ذلك مشكلة لأن من مبادىء الاعلام « كيفيـة تغيير الستـريو تـايب » بـاسلوب علمي ، واستشهـد عـلى ذلـك بمـا جـرى من تغيـير « الستـريوتـايب الامريكي » في العقـل الالماني او تغيـير « الستريـوتـايب » الالمـاني في الـذهن الامريكي . وكذلك الامر بـالنسبة للصـورة اليابـانية وللصـورة الصينية في الـذهن الاوروبي والـذهن الامـريكي . وافضـل ان استعمـل كلمـة « الانمـاط النمـاذجيـة » بـدلاً من كلمـة ستريوتايب .

واحب ان اشير الى ان الدراسة التي قدمها د. المصمودي ود. عواطف عبد الرحمن لم تعالج تقويم التجربة الاعلامية في افريقيا ، وهل تم حتى الآن دراسة الركائز الاساسية للعمل الاعلامي ، وهي دراسة الرأي العام في كل قطر دراسـة علمية منهجيـة تشمل طبقـات الرأي العام افقياً وعمودياً وركائزه وقياداته وشرائحه .

والكل يعلم انه يجب ان تختلف الـرسالـة الاعلاميـة الموجهـة الى دول الساحـل الغربي لافـريقيا عن الـرسالـة الموجهـة الى دول شرق افـريقيا ، او السـاحل الشـرقي . كما يجب ان تختلف الرسالة الموجهـة الى الدول التي لا تتميـز تركيبتهـا السيكولـوجية والاجتمـاعية بـوجود اقليات عربية او مسلمة .

٤ ـ عز الدين عمر موسى

اعتقد ان التعاون « العربي ـ الافريقي » في مجال الاعلام مهما كان النموذج ، لن ينجح طالما ان وسائل الاتصال بين دول القـارة شبه مقـطوعة فـلا بد من اهتمـام بوسـائل الاتصـال السلكي والبريدي والهاتفي . ولعله من المفيد الاشـارة الى ضرورة ربط العـواصم على الاقـل بخطوط طيران مباشرة حتى وان ادى الامـر الى خسارة مـادية . وهنـا يجدر ذكـر الدور المقـدر الذي قامت به مصر الثورة في هذا المجال .

ومن الضروري الاشارة الى الدور الكبير الذي تقوم به اسرائيل بصورة مقنّعة عبر ارسال اساتذة الى الجامعات يحملون جنسيات اخرى ويكتبون في الصحف موضوعات تزرع اسافين بين العرب والافارقة . . . واذكر على سبيل المثال اننا في جامعة احمدو بيللو قد نجحنا في ابعاد كثير من هذه العناصر المشبوهة ، وبعضهم للاسف كان يدرس العربية والاسلاميات وتاريخ الاسلام والشرق الاوسط عامة وافريقيا . ولكن للاسف حتى الآن لم نستطع استبدالهم بعرب في تلك المجالات ، لأن اهل مثل هذه التخصصات يريدون الهجرة شرقاً لملاقاة مهدي العصر ـ وهو البترودولار ـ ولهم عذرهم ولعلي احذو حذوهم . فلا بد للجامعات العربية من خلال اتحادها ومنظمة الثقافة والعلوم العربية من محاولة سد هذا النقص بدعم مرتبات الاساتذة حتى نبعث الى جامعات افريقيا باساتذة مقتدرين في تلك التخصصات . ومن ثم يستطيعون الى جانب عملهم في التدريس ان يسهموا في جوانب الاعلام : تلفزة واذاعة وصحافة . وهو امر ترحب به الحركات الشعبية ـ لاسيما التقدمية والاسلامية ـ ترحيباً كبيراً . ولعلكم تستغربون اننا حاولنا ان نعرض فيلماً عن الثورة الجزائرية فكلفنا الامر جهوداً مضنية ، واقبل الطلاب : مسلمون ونصارى اقبالاً عظيماً . فلم لا توفر وزارات الاعلام العربية في سفاراتها افلاماً عن الحياة العربية .

٥ ـ فاطمة الجامعي الحبابي

سبقني د. غسان العطية الى عبارة خطرت بذهني حين قرأت في برنامج الندوة عن البعد الاعلامي في العلاقات العربية ـ الافريقية المعاصرة ، لكن فاقد الشيء لا يعطيه . وليس معنى ذلك هو ان العرب لا يمتلكون من المعلومات ما يمكن تقديمه . ولهم من المعلومات المتضاربة المتكدسة في الوثائق والكتب ما هو غذاء مقو ، للارضة، ومسكن مريح للعنكبوت ، في اضخم بنايات الوزارات والسفارات والمكتبات عبر جميع الاقطار ، ويكاد يكون الامر بدون استثناء .

واسألكم بكل صدق من منا لا يشكو ضياع جهد ووقت في الحصول على خبر او وثيقة حتىَ ولو كان من كبار المسؤولين . ان الخبر ، اي خبر ، يفقد مردوديته حينما يتطلب من الجهد والكلفة الشيء الكثير ، ومن الوقت ما يمكن الآخر من السبق اليه ودخولنا معه في مزايدات لشراء ما هو لنا منه .

ان استغلال معطيات الاعلاميات الحديثة امر ضروري لا تردد فيه ، والعذر الذي يقدمه بحث السفير المصمودي في ارتفاع نفقات التجهيز غير مقبول في مذهبي ، اذ ما ينفق في ميادين لامردودية لها ، وعلى اشباع غرائز مختلفة يفوق قيمة ما يوفر لنا هذه التقنيات . نعم هناك مشكل في لغة امتلاكنا لهذه التقنيات ، اذ نعرف ما بين اقطار الوطن العربي من تضارب فِي استعمال الحرف العربي في تقنيات الاعلام ونعلم انه استغرق زمناً ومجهودا ولما يحسم بعد .

٦ ـ محمد فايــق

انا لا اريد ان اتكلم عن آليات الاعلام وادواته ، ولكن شيئاً واحداً يقلقني حقيقة في هذا الموضوع ، وهو لا يتعلق بالتعاون الاعلامي بقدر ما يخص الاعلام عن التعاون العربي ـ الافريقي ، اي توظيف الاعلام لخدمة التعاون العربي ـ الافريقي . ولتحقيق ذلك لا بد اولاً من ان يكون مفهوم التعاون العربي ـ الافريقي واضحاً ومتفقاً عليه افريقياً وعربياً .

ولكن في حقيقة الامر هناك مفهومان : مفهوم لمعظم العرب عن التعاون العربي ـ الافريقي ، ومفهوم آخر لمعظم الافارقة عن هذا التعاون العربي ـ الافريقي .

فمن ناحية المفهوم السائد لدى الافارقة : هو ان العرب ، وخاصة في بلدان النفط ، بما لديهم من فائض الاموال عليهم ان يتحملوا عبء التنمية في افريقيا ، خاصة وان الاقتصاد الافريقي تأثر الى حد بالغ بارتفاع اسعار النفط الذي هو نفسه كان سبباً في زيادة ثراء العرب .

وقد اختلطت الامور بسبب الدعايات المناهضة للعرب والمغرضة وفي غياب اعلام عربي واع فامتدت ـ في ذهن الكثير من الافارقة ـ هذه المسؤ ولية نفسها الى العرب واصبح الافارقة يطالبون العرب بالشيء نفسه . اي دفع دين التنمية . وظهرت المقارنات بين التحويلات العربية الى اوروبا وامريكا ، والتحويلات الى افريقيا ، وهي مقارنات غريبة ومغرضة ولا تخدم هدف التعاون .

واعتقد ان تصحيح هذا المفهوم الخاطىء ، والذي يمكن ان يدمر كل الجهود التي نبذلها من اجل التعاون العربي ـ الافريقي امر مهم وهذه بدون شك مسؤ ولية اجهزة الاعلام .

اما من ناحية المفهوم العربي : فما زال المفهوم السائد لدى العرب وخاصة دول النفط غير الافريقية ان الهدف الحقيقي للتعاون العربي ـ الافريقي هو الذي جر الدول الافريقية الى تأييد العرب في قضيتهم الرئيسية فلسطين وقطع العلاقات مع اسرائيل . وانهم على استعداد لدفع ثمن هذا الموقف ولكنهم يضيقون باستمرار المطالبة بدفع المزيد من الاموال في عمليات التنمية الافريقية حتى ذهب بعضهم الى وصف هذه العملية بالابتزاز ، وترتب على ذلك ان ارتبط في الاذهان عند هذه الدول ان تنشيط التعاون معناه المزيد من دفع الاموال ، وان اجتماعات قمة جديدة معناها مزيد من التزامات الدول النفطية ، واصبحوا لذلك في ضيق من امر هذا التعاون . وايضاً هذا مفهوم خاطىء ومدمر للعلاقات العربية ـ الافريقية التي لا يمكن ان تقوم على اساس شراء المواقف .

٧ ـ ابراهيم نصر الدين

اود اولاً ان اعلق على بحث د. المصمودي بابداء ملاحظات ثلاث :

اولاً : انه في الوقت الذي نتحدث فيه عن تعاون عربي ـ افريقي فإن العقل العربي وما افرزه من ادبيات وامثال شعبية . . . الخ لا تـزال سمات عنصـرية تجـاه السود . فكـل ما هـو

اسود سيء ومرفوض . وكل ما هو ابيض جميل ومقبول . والامثلة كثيرة على ذلك حتى داخل الاقطار العربية التي تضم مجموعات بشرية يغلب على سحناتها اللون الاسمر الداكن . ومن هنا فإن نقطة البداية في العملية الاعلامية يجب ان تكون السعي لتنقية الفكر العربي من هذه المظاهر العنصرية ثم تدعيم هذه القيم لدى الجماهير العربية .

ثانياً : الاتصال الشخصي ـ هو اهم ادوات الاعلام واكثرها فعّالية . وبالتالي فإنه يجب التركيز على برامج المعونة الفنية وارسال الخبراء العرب الى افريقيا ، فذلك افضل الوسائل لتحسين الصورة القومية للعرب لدى الافريقيين ثم انه يجب التركيز على برامج تدريب الافريقيين في الاقطار العربية .

ويتعين علينا ان نتساءل :

ـ هل الخبراء العرب مؤهلون للقيام بهذا الدور ومسلحون بالخبرة اللازمة التي تقوم على فهم للواقع الاقتصادي ـ الاجتماعي لافريقيا؟ انني اشكك كثيراً في ذلك .

ـ وحتى ما يتعلق بالخبراء العرب الذين يعملون بالفعل في افريقيا ، فإنه يتعين ان نتساءل هل هؤلاء الخبراء يعملون وهم على قناعة بما يؤدونه من دور قومي؟ ام انهم مضطرون للعمل هناك اضطراراً ، وان بعضهم معرض للاحباط لقلة الحافز المادي او عدم توافر مستوى معيشي رفاهي كان يمكن ان يوفره لهم العمل في دولة نفطية ، او الارتحال للعمل في دولة اوروبية .

ثالثاً : ان الانسان الافريقي في حاجة الى معاملة خاصة نظراً لحساسيته الشديدة فيما يتعلق باللون! فهل نحن نتعامل مع الانسان الافريقي الذي يعمل في بلادنا او الطلاب الافريقيين الذين يدرسون في جامعاتنا بروح تخلو منها هذه النظرة العنصرية. ايضاً اعود واقول اتشكك كثيراً في ذلك .

لقد اشارت د. عواطف الى اهتمام وتأييد الصحافة العربية لنضال التحرير في افريقيا بدرجات متفاوتة . واعتقد ان هذا الموقف فيما يتعلق بتأييد حركة التحرر الافريقي يرتكز على العداء للاستعمار اكثر من كونه انسجاماً مع الواقع الافريقي ، وتقبلاً عن قناعة بقيمه وتقاليده، لا ادل على ذلك من ازدواجية نظرة نفر من المثقفين العرب وتقويمهم للوضع في افريقيا . ففي حين يتبنى هؤلاء في كتاباتهم مواقف معادية للاستعمار والعنصرية ، الا انهم في احاديثهم الخاصة يتباكون على اوضاع الدول الافريقية ، ويرون ان الادارة الاستعمارية كانت افضل في حكمها للافريقيين من فترة ما بعد الاستقلال ، متجاهلين تماماً طبيعة المشكلات التي تواجه انظمتها سواء أكانت داخلية ام دولية .

٨ ـ سمو الامير حسن بن طلال

اود ان أتكلم من منطلق الاعلام ، اي تبادل المعلومات وليس من منطلق الاعلان لشعوري اننا نمزج احياناً بين انواع الاعلام ووددت فقط ان اذكر بالفرق ما بين الاعلام

والمعلوماتية Information and Informatics بالاشارة الى تعددية الاجهزة التي تتضارب علناً في رغبتها وانكبابها على خدمة المعلوماتية والاعلام فيما بين القارة الافريقية والجنوب بصفة عامة ، والجنوب العربي بصفة خاصة . فوضعت امامي مجموعة من هذه الاجهزة كأمثلة للجهات المهتمة ، قد يبدو ان هذه المسميات غريبة عليكم ، او على البعض منكم ، فهنالك توقيع للاردن والجزائر كما اعلم وربما ايضاً لعدد من الدول العربية والافريقية الاخرى، «اتفاقية المكتب الدولي للمعلوماتية » (I.B.I) .

وددت ان اذكّر بهذه الناحية ، كما اذكّر في مطالبة لجنة براندت في سكرتيرية العالم الثالث ومنشأها ، كما اذكر في هذا المجال ايضاً ، بالمشروع ، الذي ربما ولد ميتاً وهو مشروع برنامج تنمية هيئة الامم المتحدة لتجانس المعلوماتية بين شريحة من الدول الافريقية والعربية والامريكية اللاتينية ، كذلك هنالك في مجال المعلوماتية ، ليس من باب السرد ولكن للدخول في مجال المعلومات المتخصصة ، مشروع الصندوق المؤقت للعلوم والتكنولوجيا ، كإعلام متخصص ايضاً . واذكّر بالمنظمات المتخصصة أكانت التابعة للجامعة العربية ام المؤازرة للجامعة كمنظمات المدن العربية والاسلامية ، وهي فروع متخصصة للمعلومات والمعلوماتية . عندما اتحدث عن الاعلام الصرف بطبيعة الحال هناك مناشدة لإقامة وكالة انباء اسلامية وعربية فعّالة .

اخيراً وليس آخراً هنالك مشروع القمر الصناعي العربي واتساءل عن وجه التنسيق الفني بين وزراء المواصلات ووزراء الثقافة والتربية ، قبل الخوض في تحديد معالم الرسالة الثقافية المحايدة ، بطبيعة الحال ، اذا كان لهذه الرسالة ان تنجح في ان تبث عبر القمر الصناعي العربي .

قد يكون من باب الترف الفكري ان نوصي اذا كان لهذا اللقاء شكل او آخر من التوصيات العلنية ، ان يسار من خلال المعلومات الناجمة عن مثل هذا اللقاء ، في توضيح الصورة ، وان تكلف جهة ما ، سعيدة الحظ ، كمركز دراسات الوحدة العربية ، او المنتدى الفكري ، او اي جهة اخرى متطوعة لهذه الغاية ان تدعو لمشروع مبسط لتوحيد القنوات الاعلامية والمعلوماتية في معين واحد ، وتدعو كذلك الى ازالة الازدواجية ، ما امكن ، وتنشيط حركة تبادل المعلومات بين القارة الافريقية والوطن العربي بصورة عامة ، كبداية لتصور اوسع للتعاون المعلوماتي الجنوبي . . .

٩ ـ مصطفى المصمودي يرد

اغتنم هذه الفرصة للادلاء ببعض التوضيحات المطلوبة :

ـ ان المراجع التي اعتمدتها هي وثائق اليونسكو ، وبعض ابحاث المجموعة الافريقية بالمنظمة نفسها ، والدراسات المقدمة لندوة الصحفيين العرب والافارقة التي انعقدت في السنة الماضية بتونس .

ـ اما فيما يتعلق برفض النقص الاعلامي كسبب من اسباب سوء التفاهم باعتبار ان الاعلام هو صورة تعكس ما نرى . فإني اريد التذكير بجلّ التدخلات التي اشارت الى عدم ادراك اخواننا الافارقة ما تقدمه الاقطار العربية النفطية من مساعدات مالية وفنية والملاحظات الاخرى التي تشير الى مظاهر العنصرية التي تصدر عن العرب ازاء اخوانهم الافارقة ، كل هذا يدل اذاً على ان اجهزة الاعلام في كلا المجموعتين لم تؤدِ وظيفتها على الوجه المرضي ، ومعنى ذلك ان الصورة التي تعكسها غير متماشية مع الوضع الصحيح .

ـ ينسب اليّ الاستاذ محمد بن عيسى انني ادعو الى فكرة تكليف المنظمات الدولية المختصة بمهمة تنسيق التعاون العربي ـ الافريقي في مجال الاعلام والاتصال والثقافة . واني تصحيحاً للوضع يسعدني ان اذكره بما ورد في بحثي حول تمويل الجهاز الدولي لتنمية وسائل الاعلام والاتصال ، اذ قلت انه يتعين علينا ـ بما ان هذا البرنامج لم يعط لحد الآن النتائج المنتظرة ، رغم الجهود التي بذلها العرب لإقامته ـ التفكير في برنامج او صندوق تعاون عربي ـ افريقي في المجال الاعلامي ينظم وينسق مختلف اوجه هذا التعاون .

ـ اني اعتقد في نهاية الامر ان مختلف الانتقادات كانت مهمة وبناءة لكني ما زلت على يقين بأن تغيير الاوضاع فيما يتعلق بقطاع الاعلام والاتصال حتى يسهم هذا القطاع بوجه مرضي في تدعيم الحوار العربي ـ الافريقي يتوقف اساساً على الارادة السياسية والخبرة العلمية والتخطيط المحكم والامكانيات المالية . واذا كان رأي الاستاذ الكيلاني ان الاعلام هو الكلمة ذات الخمس ميمات (المقروءة ، المسموعة ، المرئية ، المنحوتة ، الملحنة) فإني اختتم تعقيبي هذا بحروف « أ . خ . ت . م . » اعني ارادة ـ خبرة ـ تخطيط ـ ومال .

١٠ ـ عواطف عبد الرحمن ترد

في البدء اود ان اوجه عميق الشكر والامتنان للزملاء والاصدقاء الافاضل الذين اضافوا بملاحظاتهم الجادة ابعاداً جديدة للدراسة التي قدمتها . وسوف اوجز تعليقي على ملاحظاتهم في نقطتين رئيسيتين :

اولاً : الجوانب المنهجية : لقد حاولت ان ألخص اهم النتائج التي توصلت اليها في الدراسة متجاوزة الاشارة الى الاجراءات المنهجية التي الزمت بها سواء في جمع المادة العلمية او توصيفها وتحليلها ثم تفسيرها اعتماداً على ان هذا الجانب لا يهم المشاركين في الندوة بقدر ما تعنيهم النتائج التي اسفرت عنها الدراسة مع مراعاة انني سأكون موجودة في اجتماعات الندوة ، وحينئذ سأتمكن من الرد على جميع الاستفسارات الخاصة بالجوانب المنهجية . ولكن بما انني لم احضر ولم اشارك في المناقشات التي دارت حول هذه الدراسة ، لذلك اصبح من الضروري اعطاء هذه النقطة حقها من التوضيح ، خاصة وانها كانت موضع استفسار من جانب احد الاساتذة ، وابرز المتخصصين في الدراسات الافريقية وهو د. عبد الملك عودة .

فمن حيث نوع الدراسة ، اشتمل هذا البحث على ثلاث مراحل :

ـ مرحلة استطلاعية في الجزء الاول من الدراسة : وقد تم خلالها استكشاف الاتجاهات العامة للصحافة العربية نحو القضايا الافريقية . وقد تم بلورة الفروض الاساسية للدراسة من واقع هذه الاتجاهات .

ـ مرحلة وصفية : في الجزء الثاني من الدراسة حيث تم توصيف وتحديد الاتجاهات الاساسية للصحافة العربية نحو افريقيا في السبعينات .

ـ مرحلة اختبار صحة الفروض : وهي المرحلة الاخيرة من البحث .

وقد تم وضع الفروض التالية بعد دراسة العينة .

الفرض الاول : معظم الصحف العربية كانت تطرح رؤ ية موحدة ازاء قضايا التحرر الوطني في افريقيا في السبعينات .

الفرض الثاني : بعض الصحف العربية كانت تطرح رؤ ى متناقضة مع مواقف حكوماتها من القضايا الافريقية .

الفرض الثالث: تبينت بعض الصحف العربية وجهة النظر الغربية في قضايا النضال الافريقية والتعاون العربي ـ الافريقي .

اما بشأن **المنهج** فقد تم الاستعانة في انجاز هذه الدراسة بمنهج المسح الاعلامي كمنهج رئيسي مع مراعاة استخدام المسح بطريقة العينة حيث اقتصرت الدراسة على عدد من البلدان العربية تتوافر فيها مجموعة من الشروط السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تجعلها عينة تمثيلية صحيحة لباقي شعوب الوطن العربي كما تم الاستعانة بمنهج دراسة الحالة كمنهج مساعد وذلك فيما يتعلق بتجديد بعض القضايا الافريقية التي دارت حولها الدراسة .

اما **ادوات البحث** فتتضمن اساليب جمع المادة العلمية وتحليلها وقد اقتصرت على اسلوبي الملاحظة الذهنية المنظمة ، وتحليل المضمون . واعتمدت على الاسلوب الكيفي - الكمي ـ الكيفي في تحليل المادة العلمية للبحث .

وبصدد **العينات** : فهناك ثلاثة قرارات تتعلق باختيار العينات يتضمن القرار الاول تحديد عينة الاقطار العربية وقد روعيت مجموعة اعتبارات تتعلق بمدى اهمية وحجم هذه الاقطار اقتصادياً وسياسياً وثقافياً بالاضافة الى تنوع الاوضاع الاعلامية والظروف السياسية والاقتصادية التي تمثلها هذه الاقطار . كذلك روعي مدى توفر المصادر العلمية الخاصة بالبحث وفي مقدمتها الصحف مع امكانية الحصول عليها وفي ضوء هذه الاعتبارات تم اختيار الاقطار التالية : (١) مصر ؛ (٢) العراق ؛ (٣) الكويت ؛ (٤) السودان .

القرار الثاني يتضمن تحديد عينة الصحف وقد تم اختيارها طبقاً للاتجاه التحريري لكل منها مع مراعاة تمثيلها لمختلف القوى السياسية والاجتماعية في الاقطار العربية التي وقع عليها الاختيار. وقد تضمنت العينة الصحف التالية :

- الاهرام والاخبار ، لتمثيل الصحافة المصرية .

- الثورة ، طريق الشعب ، التآخي والعراق ، لتمثيل الصحافة العراقية .

- الوطن ، السياسة ، القبس ، لتمثيل الصحافة الكويتية .

- الصحافة ، الايام ، لتمثيل الصحافة السودانية .

القرار الثالث ، يتضمن تحديد القضايا التي دار حولها البحث واذا كان من اليسير حصر اهم القضايا الافريقية التي سيطرت على مرحلة السبعينات فإن الاطار المنهجي للبحث باعتباره دراسة استطلاعية يُلزمنا بضرورة التركيز على اهم القضايا المحورية التي تركز حولها النضال الافريقي سواء في مجال التحرر الوطني او التنمية الشاملة ، وقد تم حصر ابرز هذه القضايا وتتلخص فيما يلي : (١) قضايا النضال الافريقي في زيمبابوي وناميبيا وجنوب افريقيا ضد الانظمة العنصرية في الجنوب الافريقي ؛ (٢) قضية انغولا ١٩٧٥ ؛ (٣) العلاقات العربية - الافريقية .

ثانياً : الجوانب الموضوعية : ففيما يتعلق بما جاء في تعليق الاستاذ محمد فايق حيث قام بشرح وتطور المفاهيم الخاطئة لدى كل من العرب والافريقيين ودور الاعلام في ازالة هذه المفاهيم وتصحيحها . وكنت قد اشرت الى هذه النقطة المهمة في المقدمة ولكن بشكل موجز .

كذلك ما جاء في مداخلة د. ابراهيم نصر الدين الذي اشار الى عدة نقاط مهمة تتعلق بخصوصية الواقع الافريقي وندرة الباحثين المتخصصين في الشؤون الافريقية وغياب الكوادر العربية القادرة على الاقتراب من فهم واستيعاب الواقع الافريقي الراهن بكل مركباته الاجتماعية والثقافية الخاصة والعمل على التأثير فيه بشكل ايجابي .

ولذلك فهو يرى - وانا اتفق معه الى حد كبير - ان مواقف التأييد التي عبرت عنها الصحافة العربية نحو قضايا التحرر الوطني في افريقيا قد نبعت من موقف البلدان العربية المعادي للاستعمار بوجه عام ولا تتضمن هذه المواقف بالضرورة فهماً عميقاً من جانب الرأي العام العربي لحقيقة الاوضاع في الدول الافريقية قبل الاستقلال او بعده .

ومن هنا اكرر ما سبق ان دعونا اليه وهو ضرورة تأهيل واعداد الكوادر العربية سواء في مجال العمل الدبلوماسي او الفني في افريقيا . وقد آن الوقت لوضع استراتيجية عربية موحدة في هذا الميدان ، وكفانا ما حصدناه من سلبيات بسبب افتقارنا للنفس الطويل والرؤية الشاملة لطبيعة العلاقات العربية - الافريقية ومتطلباتها الآنية والمستقبلية .

اما الاستاذ موسى زيد الكيلاني فقد طرح تساؤلاً مهماً حول ما اذا كانت هناك دراسات عن الرأي العام باعتباره احد الركائز الاساسية للعمل الاعلامي العربي في افريقيا. والحقيقة ان هذا الميدان يكاد يخلو تماماً من الاجتهادات العلمية والدراسات الميدانية ولا يزال محصوراً في دائرة الاجتهادات الانطباعية ومنهج التجربة والخطأ رغم مرور اكثر من عقدين على حركة

الاستقلال الوطني التي شملت كلاً من البلدان العربية والافريقية . ولما كان من العسير، لاسباب موضوعية تتعلق باجراءات الحظر المفروض من جانب الحكومات العربية على الدراسات الخاصة باستطلاع وقياس اتجاهات الرأي العام في القضايا ذات الطابع السياسي او الثقافي، وكذلك لاسباب ذاتية تتعلق بظروف البحث المحدودة زمنياً ومكانياً ، لذلك رأينا ضرورة اللجوء الى التعرف على اتجاهات الرأي العام العربي ازاء القضايا الافريقية بدراسة اتجاهات الصحف العربية باعتبار ان المواد الاعلامية التي تنشرها هذه الصحف تعبر عن اتجاهات موجودة بالفعل او تعمل على تكوين اتجاهات جديدة وذلك رغم الضغوط والمؤثرات العديدة التي تخضع لها الصحافة العربية فهي اما لسان حال الحكومات او خاضعة لرقابة محكمة بحيث لا يتسرب منها الا ما يمثل وجهة نظر هذه الحكومات .

ويرى الاستاذ موسى الكيلاني ان الدراستين المقدمتين عن البعد الاعلامي للعلاقات العربية ـ الافريقية ناقصتان ولا تتضمنان تقويماً شاملاً للتجربة الاعلامية في افريقيا كما انهما لم يقدما رؤية مستقبلية ، وانا اشاطر الاستاذ الكيلاني الرأي نفسه ، واتخذ من ملاحظته المهمة نقطة انطلاق كي اجدد ما سبق ان دعا اليه الكتّاب والمتخصصون في الشؤون الافريقية ، وردته المؤتمرات العربية ـ الافريقية ، ولا زلنا نكرره ، وهو ان تصحيح المفاهيم الخاطئة والصور الذهنية المشوهة لدى كل من الشعوب العربية والافريقية يستلزم بحوثاً ميدانية مشتركة تقوم بها فرق عمل بحثية عربية وافريقية ، وتتم تحت اشراف كل من الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية . ولو اهتمت هذه الهيئات بتخصيص جزء ضئيل من الاعتمادات التي تذهب لأغراض مظهرية لا تعود بأدنى نفع او فائدة حقيقية على العلاقات العربية ـ الافريقية . لو تم تجاوز هذه الشكليات واتجهنا مباشرة الى استكشاف الواقع العربي وتقديمه للافريقيين ودراسة الواقع الافريقي وتقديمه للعرب من خلال دراسات جادة مستلهمة الاساليب العصرية في البحث العلمي ، لو حدث ذلك سوف نسهم بحق في النهوض بقضية العلاقات العربية ـ الافريقية وانقاذها من متاهات الرؤية الجزئية القصيرة النظر التي تسود في المرحلة الراهنة على الساحتين العزبية والافريقية والتي تؤدي في النهاية الى تكريس البلبلة والتشويش والقطيعة الذهنية والوجدانية بين الشعوب العربية والافريقية .